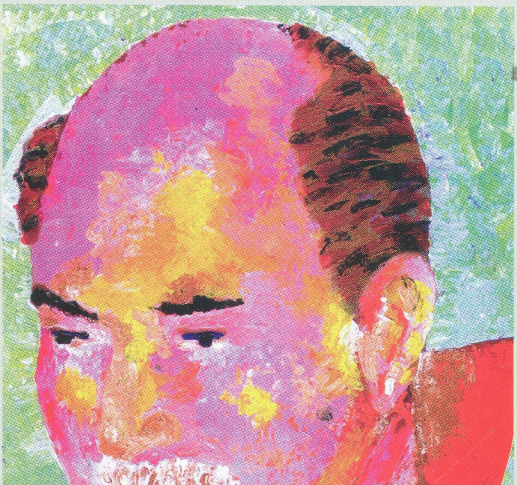
أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

أكتوبر ٢٠٠٥ ـ العدد ٢٤٢

طاهر البدري: شيوعى من هذا الزمان

مسرحية شعرية: هيروشيما المحطة



لزوميات المعري: تعرية رجال الدين

نظرية القومية العربية

مبروك.. مبارك.. مبروك

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الواحدة والعشرون

العدد ٢٤٢ أكتوبر ٢٠٠٥



الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها

البلاد العـــربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

يمكن إرســـال الأعمـــال على العنـــوان البريدي أو البريد الالكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانترنت: **adabwanaqd.٤t.com**

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن ثمانى صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

المراسلات : مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهالى القاهرة / هاتف ٢٩/ ٥٧٩١٦٢٨ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات



أول الكتابة

لن يهدأ غضب المثقفين والمسرحيين منهم علي نحو خاص قبل أن يعرفوا أن تحقيقا جديا قد جري في واقعة حريق مسرح «بني سويف» قبل أسابيع والذي راح ضحيته مواطنون أبرياء ومسرحيون في قمة عطائهم، وانهارت أسر وتيتم أطفال لن ينسوا أبدا أنه بقليل من العمل والتنظيم ويقظة الضمير كان يمكن إنقاذ ذويهم من هذا الموت المبكر الفاجع والبشع.

سوف يقال لنا- وهذا صحيح- إن الحوادث تقع في كل بلاد العالم وقد تكون لها نتائج مأساوية كما حدث في «بني سويف»، حيث تنقلب القطارات وتسقط الطائرات، وتدمر الفيضانات قري ومدنا بكاملها وتغرق بيوتا، وتشرد أسراً، وتأتي علي الأخضر واليابس، وتنشب الحرائق، وتنتشر الأوبئة التي تحصد الآلاف، وسوف يظل هذا يحدث في أنحاء العالم رغم التقدم الكبير في وسائل الأمان وما يوفره العلم من هذه الوسائل التي تتطور باستمرار.

ولكن ما حدث في «بني سويف» كان فريدا من نوعه، لا فحسب لأن أبسط وسائل الأمان كانت غائبة كلية ولابد أن يجري محاسبة المسئولين عن ذلك حسابا عسيرا، ولكن أيضا لأن خرابا شاملا قد كشف عن وجهه القبيح في كل المؤسسات الأخري، فغابت الإسعافات العاجلة، وغابت المطافئ وغابت الشرطة وغاب الحكم المحلي، وقام الأهالي الذين تولوا بأنفسهم ودون أي عون ولساعات طويلة بعملية إطفاء الحريق بالطرق البدائية إلى أن طارت أخبار الفضيحة الكبري إلى العاصمة، وأخذ المسئولون يتحركون بعد خراب مالطة وبعد أن مات من مات بسبب درجات من الحريق كان يمكن علاجها، وأصيب من أصيب بما سيبقي معه طيلة العمر من جروح الجسد أو جروح الروح التي لن تنسي أبداً لأنه سيكون قد اكتشف بخبرته الشخصية مدي رخص الإنسان وهوانه في هذه البلاد حين نجا هو مصادفة، وعجز في قلب محنته عن أن يمد يد العون للذين ماتوا في الحريق.

يحمل هذا الموت المجاني المأساوي والفاجع رسالة إلى المصريين فحواها أن حياتكم لا قيمة لها، وأن الموت يتربص بكم جميعا في كل مكان لأهون سبب وأنكم تواصلون الحياة مصادفة، وأن كلا منكم مطالب بأن يحمي نفسه وأسرته وأن لا يهتم بالآخرين فما من منقذ أو ملاذ أو ضمان.

وإنها حقا لرسالة قاتلة ومسمومة وهي عار هذا النظام الذي جثم علي أنفاس البلاد ربع قرن ليعمل فيها تدميرا بقسوة غير مسبوقة، ويفرض عليها حالة الطوارئ الدائمة بحجة توفير الأمن، ويبيع مؤسساتها وشركاتها التي بناها الشعب المصري بكدحه وعرقه علي مدي قرنين من الزمان، فتنتشر البطالة وتتسع قاعدة الفقر وتنكمش القاعدة الصناعية لتنشأ رأسمالية المضاربات وتجارة الأراضي والعقارات والوكالة لرأس المال الأجنبي والشركات عابرة القارات وتنهش اللحم الحي للبلاد، وهي تصفي القطاع العام الذي كان يعيش عليه ثلاثون مليون مصري علي الأقل، وكان يمكن تطويره وتحديث أدائه ليصبح قاعدة لتطور صناعي مصري هائل. وبدلا من أن تقوم الحكومة بتطوير القطاع العام والبناء عليه أخذت هي نفسها تبني القري في الساحل الشمالي التي يسيل لها لعاب بورجوازية هشة فاسدة وغير منتجة تتفنن في ابتكار أشكال السلوك الترفي، وتجر المجتمع كله وراءها في حالة من حمي الاستهلاك وهيستيريا الامتلاك للأشياء التي تفوق الدخول المحدودة لغالبية المصريين، وانساق الإعلام وراء هذا الهوس الترفي بل وأصبح التليفزيون وسيلة لتسويق القري والمدن الجديدة التي يبنيها رجال الأعمال الذين اقترضوا الأموال من البنوك المملوكة للمصريين ولم يسددوا معظمها والتي تجري الآن عملية خصخصتها بحجة الاندماج في العولمة وانصياعا لشروط المؤسسات المالية الدولية.

إن وصف الاقتصاديين للرأسمالية القائمة الآن في البلاد بأنها وحشية تجلت وحشيتها في وقائع أخذت تتوالي من حريق القطار إلى حريق بني سويف - هذا الوصف ليس ذما أو شتيمة ولكنه وصف لحقيقتها هو ناتج تحليل موضوعي علمي متكامل لمجمل الأوضاع التي أنتجها حكم هذه الرأسمالية ومن بينها الانفاق الهزيل علي الثقافة والإغداق علي الأمن، وكان الحكم قد خدعنا، وقال إن الديمقراطية السياسية هي الوجه الآخر للاقتصاد الرأسمالية، وبالتالي إدعاء أنه لا يمكن تحقيق أيهما إذا أهدر الآخر، وهذا افتراء علي التاريخ، فما جاءت به الرأسمالي في الغرب - بعد أن اشتد عودها واستطاعت الإطاحة بالطبقة الاقطاعية لتحل محلها في سلطة الدولة - هو «الليبرالية» بمعناها الأصيل الذي يتمثل في ثلاثة أمور: أولا حماية الملكية الفردية، وحق المالك في التصرف في ملكه دون أي تدخل من الدولة، وثانيهما ألا تفرض ضريبة أو يزيد سعرها إلا بموافقة دافعي الضرائب، وثالثها أن سلطات الأمة تتجسد في ممثليها المنتخبين الذين يقدومون بسن القوانين هو مراقبة الحكومة. وكان حق الترشيح والانتخاب مرهونا بممارسة الملكية الفردية أو دفع ضريبة مباشرة، ولم يكن أبدا حقا لكل مواطن في ذلك الحين.

ولا يتوقف المثقفون الذين انتقلوا من مواقع الفكر الاشتراكي إلى مواقع الفكر الليبرالي أمام هذه الحقائق قبل أن يعلنوا أنهم باتوا ليبراليين أصلاء وهذا حقهم بطبيعة الحال ولكن الذي يثير الدهشة هو أن هؤلاء باسم الليبرالية السياسية وباعتبارها كما يقولون وجها آخر للانفتاح الاقتصادي أو الليبرالية الاقتصادية انتقلوا أيضا إلى صفوف النظام الذي أسرف في وضع القيود علي الحريات العامة والديمقراطية كافة من حق تكوين الأحزاب والنقابات والجمعيات إلى الإفراط في تشكيل المحاكم الاستثنائية والعسكرية إلى تقييد حقوق النشر والتعبير لهيمنة السلطة التنفيذية علي السلطتين التشريعية والقضائية وصولا لدرجة من الفساد جعلت مصر تأتي في المرتبة الثانية في العالم من حيث انتشار الفساد فيها طبقا لمنظمة الشفافية العالمية، ويكاد الفساد أن يكون هو الآلية الرئيسية لإعادة توزيع الثروة بصورة مشينة والمساعدة علي تكوين الطبقة الرأسمالية الجديدة التي أصبحت تتحكم في اقتصاد البلاد وتؤسس للثقافة التجارية الاستهلاكية وتنشر الخراب أينما حلت وتصادر الحريات وتجعل الإنفاق علي الثقافة كأنه صدقة، ويصبح التردي العام في كل المؤسسات هو القاعدة.

وما الحديث هنا عن المثقفين الذين انتقلوا إلى صفوف النظام وانخرط بعضهم في الطبل والزمر له باسم الليبرالية إلا من أجل المقارنة بين موقفهم واختياراتهم وموقف واختيارات معظم هؤلاء الذين التهمتهم المحرقة في «بني سويف»، ولم تكن بني سويف هي محطتهم الأولي بل ربما هي الألف في رحلة شاقة جابوا فيها أقاليم مصر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ليشاهدوا الأعمال المسرحية الفقيرة ويلتقوا بالمثقفين الفقراء، ويشاركوا في التحكيم وتقييم الأعمال ويقدموا خبرتهم ومعرفتهم لهؤلاء الذين هم في أمس الحاجة للعون بعد أن انكمشت الميزانيات المحدودة المخصصة للمسرح الإقليمي والتي كانت أصلا قد تآكلت بسبب التضخم وارتفاع الأسعار، وأصبح جزء أساسي من الإنفاق الحكومي موجها للمهرجانات دون نظر جدي لأوضاع قصور الثقافة التي من المفترض أنها ترعي المثقفين في كل أقاليم البلاد وتساعدهم علي تطوير مواهبهم وإمكاناتهم والاستفادة من حصاد هذه المهرجانات فوق هذا وذاك تفتح لهم بابا للأمل ليبقوا في أقاليمهم دون أن يضطروا للهجرة إلى القاهرة ثم يتحققوا فنياً وإعلاميا في هذه الأقاليم وقد كان مصير العاجزين عن الهجرة- وهم الغالبية- أن تعرضوا للإحباط وشحبت مواهبهم وذوت وبخاصة منهم فنانو المسرح الذين لا يستطيعون الاكتفاء بكتابة النصوص وبينهم الممثلون والمخرجون والفنانون التشكيليون والموسيقيون وفنانو الإضاءة.

وفي زمن الناصرية التي انتهجت سياسة وطنية تحررية وتطلعت لإقامة نظام للعدالة الاجتماعية ورغم القيود الشديدة علي الحريات العامة التي فرضتها.

تحولت قصور الثقافة التي نشأت في هذا الزمان إلي مراكز للإشعاع الثقافي والمسرحي علي نحو خاص في أقاليم مصر حينما وجدت، بل كانت هذه القصور والبيوت مراكز لاحتجاجات المثقفين الذين لم يسلموا من بطش النظام الذي نجحت توجهاته العامة مع ذلك في خدمة الثقافة وأحيانا رغما عنه؛ ويذكر أبناء جيل الستينيات مؤتمر الأدباء الشبان الذي نظمه الفنان التشكيلي والكاتب الصديق «عز الدين نجيب» في قصر ثقافة الزقازيق والذي اعتقل علي إثره عدد من المبدعين متهمين بالشيوعية.. ومع ذلك كانت القصور والبيوت تشكل فرقها المسرحية وتصنع مختبراتها وتجاريها، وأهم من ذلك كله كانت قد كونت لنفسها جمهورا أخذت قاعدته تتسع باستمرار يشاهد أعمال «ألفريد فرج ونجيب سرور وعبد الرحمن الشرقاوي وتوفيق الحكيم، وصلاح عبد الصبور ومحمود دياب وميخائيل رومان وغيرهم، وتتخلق من قلب هذا الجمهور أجيال جديدة من المبدعين في كل مجالات الفن المسرحي الذي قال عنه المفكر الراحل «لويس عوض» إنه أصبح مأوي للديمقراطية ومنبرا لها بعد أن جري تقييدها في السياسة بسبب نظام الحزب الواحد والدولة البوليسية الناصرية التي ازدادت قبضتها قسوة الآن.

سوف يطول حدادنا علي الراحلين غيلة، ولا نملك الآن إلا أن نحول أحزاننا إلى طاقة عمل ونتابع التحقيق في كل البلاغات المقدمة للنائب العام، ونفتح معاً ملف كل المؤسسات العامة التي هي ملك الشعب المصري والإنفاق عليها وتطويرها مهمة الحكومة وليست منحة منها أو تفضلاً فلا نكون كالساكتين علي الحق شياطين خرساء، بل لابد أن نفسد رهانهم علي أننا سوف ننسي مع مرور الزمن الذي يداوي الجروح، فنحن لن ننسي ولن نغفر، بل سوف نستمد من لوعتنا قوة للتساند مع بعضنا البعض حتي نكون فاعلين في موجة التغيير العارم القادم لا محالة، ونسعي لأن يتم هذا التغيير سلميا وديمقراطيا تعبيرا عن وفائنا للذين رحلوا قبل الأوان وهم يؤدون رسالتهم متطلعين لخلق عالم جميل ترفرف عليه رايات الحرية والعدالة في كل ربوع الوطن والثقافة قاطرته الدافعة، وحق الأقاليم الفقيرة فيها لا ينازع، فقد رحلوا وبقيت رسالتهم وسوف تظل إلى الأبد حاملة أنفاسهم وبصماتهم فليرحمهم الله ويرحمنا جميعا..

المحررة

شعر

«مبروك» .. مبارك

شعر: حسن طلب

«مبروكُ» .. مباركْ
أنت ستنجح لاشكَّ..
ستبقى لسنوات ستٍّ قادمةٍ
إن شاءَ اللهُ تباركْ!

لابدَّ ستنجح..
حتى لا يكشف من يأتى بعدَكَ
أسرارَكْ
لا تقلق .. أنت ستنجحُ لابدَّ..
فمبروكُ.. مباركْ
ليس أمامكَ إلا أن تنجحَ
ما أتعسَ يومَكَ إن أنتَ رسبتَ
وما أفدحَ عارَكْ!

لو لم تنجح.. ستحاكم لابدَّ..
ولن تجدَ من القوم مُجيراً
فإذا استصرخْتَ حماكَ..
أو استنْجدتَ أجارَكْ!
لكن ليس عليك...
فأنت ستنجح لا ريب .. وقطعًا
مبروك.. مباركْ

أما نحن .. فلا نملك إلا أن نتأهبَ
كي نتعذَّبَ
نحن سنستغرقُ في غيْبوبة غمٍّ دائمةٍ
ولستَّةِ أعوامٍ قادمةٍ
نتحملُ فيها: وزراءَكَ.. أرزاءَكَ.. أوزارَكْ!

«مبروكُ».. مباركْ
أنت ستنجح لابد..
وإن شاء المنتقمُ القهارُ
ستبلغُ فينا أوطارَكْ
لكأني بالزَينة في كل ميادين القاهرة..
وكل شوارعها
حيث يصفِّقُ أتباعُكَ.. أو يرقصُ مأجورُوكْ
وينافسُ شُطَّارَكَ في (الزفَّةِ) عيَّارُوكْ
مادمتَ نجحتَ.. فليس يُهِمُّ إذا رسبتْ مصرُ..
فمبروكُ.. مباركُ.. مبروكْ
وليهتفْ صبيانُكَ في الحارةِ..



وليكتبْ غِلمانُكَ فى الصُّحفِ السيَّارة:
(يا مصْرَ «مباركَ» مبروك)
لكأنَّكَ صرتَ المصريِّينَ.. وصارُوكْ!
فهنيئاً لكَ.. للغِلْمانِ وللصبيان..
هنيئاً للشيخ وللمطران..
هنيئاً للأمريكان..
فسوف تظلُّ كما كنت لهم:
تصدع إن أمروك..
وتزدجر إذا زجروك
«مبروك».. مبارك.. مبروكْ
أنت ستنجحُ
فلتفرحْ أنتَ.. لنحزن نحن..

فمثلك إما ينجح أو ينجح!
بالبرطلة.. أو البلطجة ستنجح..
وبإطعام للفم.. يتلوه إغماض للعين..
بسوط رجال الأمن..
ستنجح لابد وحتما
بغياب الوعي..
بنصف الشعب الأمى..
بألوان خداع سافرةٍ
وبأصوات رعًاع وجماهير مؤجرة
بغرائز حاضرة .. وضمير متروكْ
«مبروك» .. مبارك.. مبروكْ
أنت – ويا للهول – ستنجحُ

لا ريب وقطعاً
ولأنى من عقدين ونصف العقد عرفتك..
أنت ومن حولك..
ما كنت لأنتخب رئيساً مثلك..
أقسم أنى أعرفك وأعرف أنصارك
هم أهل الحل وأهل العقد..
ومن عقدين ونصف العقد
يعيثون فساداً فى البلد..
فكم نهبوا منه وكم سلبوا
(وأنا لا أذكر مليارات ذويك..
وقنطارك)!
مبروك .. مباركْ
وسيمضى الوقت .. نعم بالتأكيد سيمضي
وستكتبُ – أنت بنفسك –
خاتمة سلالة حكام العسكر..
لابد ستصبح آخر حصرمةٍ فى العنقودْ
وبأيديكَ تجىءُ نهايةُ هذا العصر المنكود!

هذا اليومُ سيأتى..
حتماً لابدَّ سيأكلك – ويأكلنا – الدود
وستبرأُ مصرُ من العنة..
لن يبقى من تلك المحنةِ..
غير اللعنةِ
تنصبُّ على ذكراك..
وتذكار ثلاثين من الأعوام السود



وسينقشع الوالدُ.. والمولودْ!
هذا اليوم سيأتى أسرع مما تتوقع..
لا ريب سيأتيك بما لست تحب..
كأن حصاناً أعجف..
من هيئته ينخلع القلب..
عليه ملك الموت يخب..
لهذا السبب اخترتُ (الخبب)
استغنيت عن (المنسرح)
وألقيت (الوافر) خلفي
وتركت (المتدارك)
وكسرت قوانين النحو.. فقلت بملء فمى:
«مبروك» مبارك!

أغسطس ، سبتمبر ٢٠٠٥

ملـف

طاهر البدري :
شيوعي من هذا الزمان



تهدي مجلة «أدب ونقد» ملفها الفكري هذا العدد إلي طاهر البدري، ذلك المناضل التقدمي الكبير، الذي ساهم مساهمة ملحوظة في مسيرة الحركة الوطنية واليسارية المصرية طوال عدة عقود- أطال الله عمره المديد- منذ أربعينيات القرن العشرين، حتي اللحظة الراهنة.

قد نختلف أو نتفق مع بعض أفكار طاهر البدري، لكن الثابت أننا أمام نموذج فريد للصلابة والكفاح الذي لا ينكسر، وأمام رجل وهب عمره من أجل تقدم مصر، ودفع الأثمان الباهظة- سجناً وتشريداً وشظف حياة- لموقفه الأصيل،ولم يحصل بعد هذه الرحلة الطويلة إلا علي حب الناس واحترامهم وامتنانهم لحضوره الجميل.

يا طاهر البدري، أيها الشيوعي الطيب: في عامك الثمانين، هذه وردة «حمراء» في عروة قميصك البسيط.

« أدب ونقد »

حكاياتى معه

د. رفعت السعيد

ما أن أطل عام ١٩٥٠ وألغيت الأحكام العرفية حتى فتح معتقل الهايكستب أبواباً طال إغلاقها، ويخرج الطفل - الذى هو أنا - بعد فترة اعتقال لم يعرف لماذا بدأت ولا لماذا انتهت !

لكن الغريب فى الأمر أنه أنغمس دون قرار فى العمل السرى التنظيم «حدتو» بينما الآخرون الذين كانوا فى نظره عمالقة النضال الكلامى فى غرف الهايكستب ما لبثوا أن تسربوا هرباً.

وذات يوم اقتادتى الرفيق فاروق «فؤاد حبشى» لأقابله. فارعاً كان، هادئاً ورزينا، متفجراً سريع الغضب فى ذات الوقت. أنا مجرد تلميذ وهو أستاذ أحياء بمدرسة ثانوية.

ولأن شوارع وأناس المنصورة يعرفوننى«، أقصد يعرفون أبى ويعرفون قصة اعتقالى طفلا فقد اخترنا للقاءاتنا أقصى أطراف المدينة عند محطة قطار الدلتا. ذلك القطار الذى كان بإمكانك أن تسبقه إن أسرعت الخطي. نحن هناك بمأمن من التعرف على الرواد فى هذا المكان كلهم فلاحون وليسوا من أبناء المدينة المفعمة بالثرثرة.

كان يوجهنى بلهجة المدرس المتواضع وكنت أتقبل بأسلوب تلميذ مطيع.

فأنا تقرر لى أن أكون مسئولا عن مجموعات طلابية وعن نشاط واسع فى حركة السلام، وتحوطنى مشكلات لا حصر لها وعلامات استفهام تتراكم دون أن أجد لها إجابات. وهو كما خيل إلى أيامها مصنع إجابات.

كان حاسماً فى قراراته، أحيانا يتطلب منى مواقف لا احتملها ولا يختملها من أتولى مسئوليتهم فنحن فى نهاية الأمر مجرد تلاميذ تخاف الآباء والأسرة والثرثرة بأكثر مما نخاف الأمن.

وكان دائم الحلم بالثورة. أحلام يقظة كثيرة تراوده فى جلسة عند أطراف محطة الدلتا امتدت الثرثرة لأقول له أننى لا أعرف ركوب الدراجات ولا أعرف السباحة. فجأة تغير الوجه الهادئ صاحب الابتسامة الغامضة، تحول إلى غضب ثائر.. يجب أن تتدرب على الاثنين، هذا واجب حزبي، فعندما تقوم الثورة ستحتاج كى تشارك فيها لا تقانهما. حاولت .. ولم أفلح ، ولم أفتح معه الموضوع مرة أخرى موقنا أن بإمكانى أن أفلح على المسار الطويل الممتد حتى يوم اشتعال ثورة لم تشتعل.

كان يتكلم وكأنه يحلم، يجسد المستقبل، ويجسد الرجال.. أقصد كبار الرفاق العالميين، خاصة ماتوس تونج، ويشى بنفسه، فيقول إنه منهمك فى ترجمة كتاب «الديمقراطية الحديثة» لماو..

هو كقادم من شربين وهى مدينة صغيرة تعيش فى عمق الريف كان فى عمقه فلاحاً رغم أن أباه كان تاجراً. ومن هنا كان اختياره لكتاب «الديمقراطية الجديدة» بالذات وكان عشقه لماو، وعشقه للتجربة الصينية وهو عشق أمتد معه طويلا، بل وطويلا جدا. وإن كنت اعتقد أن تجارب الصين فى مجال الاقتصاد قد باعدت بينه وبين هؤلاء الذين نسوا استقامة ماو، وتراثه الحاسم، والذى لا يعرف الإلتواء.

حاداً كحد السيف كان . يصلح هذا الأمر فى إطار مجموعة صغيرة فى مدينة صغيرة، تمارس عملها دون أن يراها أحد، وربما دون أن يحس بها إلا القليلون. ويصلح أيضاً فى السجن حيث عدنا للإلتقاء معا.. فى سجن مصر ثم القناطر ، ثم الواحات. لكن الحياة بمنحنياتها المتعرجة ، وتفاعلاتها غير المتوقعة لا تعرف سياسة حد السيف.



لكنه كان كذلك.. ولست أعرف كيف أصبح الآن؟

أيام كثيرة، أحداث بلا حصر، حكايات لا تنتهي، كلما أغمضت عيناى وانزلقت إلى بئر الذاكرة أستدعى ما كان منذ أكثر من نصف قرن.. ياه، كم أسرعت بنا الأيام كم تراكمت على كاهلنا سنوات وخبرات ومشكلات وخلافات لكنه سيبقى بالنسبة لى كما كان وكما كنت يوم أول لقاء هو أستاذ وأنا تلميذ..

فهكذا تربينا منذ أن بدأنا على الوفاء.

ملف

نحو مصالحة وطنية

بقلم: طاهر البدرى

تعود الذكرى الكالحة العشرون لهزيمة ١٩٦٧، وقد تفاقمت نتائجها المأساوية.
فقد كبلت بلادنا اتفاقيات «كامب ديفيد» والصلح المشين مع إسرائيل، وتتزايد أزماتنا الاقتصادية منذ توقيعه وبسببه تتزايد حدة واشتعالا.

وقد أدى خضوع الحكومة المصرية لشروط البنك الدولى إلى ارتفاع جنونى فى الأسعار لا يتوقف. وتزداد معاناة الجماهير الكادحة ومحدودى الدخل من المواطنين ومن فى حكمهم وتصل إلى مستويات لم يسمع بها من قبل من الشدة والقسوة.

وتطل الفتن الطائفية بقرنها. وبدأت موجة من الإرهاب لم يسبق لمصر التعرض لها وبدأت فى الظهور بواكير اتجاهات فاشية جديدة دمرت شعوبا

قبلنا تحت شعار المستبد العادل. وأخذت جميع القوى السياسية تلوم كل منها الأخرى وترتاب فى بعضها البعض. وتدعو الواحدة أو الأخرى منها إلى إقامة محاور أو جبهات تجابه بعضها البعض من خوفها من بعضها . ويكاد يتوه صوت العقلاء القليلين فى خضم هذه الموجة العاتية من الاتهامات المتبادلة ومن فقدان الكثير لصوابهم . وجميعا أمور تمهد الطريق لأى مغامرين انقلابيين لإهدار ما تبقى من مصالح الوطن والمواطنين وهو قليل. **ونسى الكثير فى خضم هذا التوهان المتسبب الرئيسى فى هذه البلبلة. العدو الأساسى والدائم لشعبنا، الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل.**

لقد نجح الاستعماريون الأمريكيون ومن الأهم من دعاة «كامب ديفيد»، بعد حرب أكتوبر ، نجحوا إلى حد كبير فى قلب الحقائق أمام الشعب المصري، وتضليله عن حقيقة العدو الذى يواجه وهو الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل حتى أصبح الكثير يعتقد خطأ أن مصر لم تكن تدافع عن نفسها وتضحى بأبنائها من أجل حياتها ومستقبلها هي، بل ويا للخديعة تدافع فقط عن الفلسطينيين «منا وكرما»، وأصبح الجناة الأمريكون والإسرائيليون هم الأصدقاء المجنى عليهم وأصبحت الضحية الفلسطينية هى المسئولة عن كل الشرور التى أصابتنا وصابت الشعوب العربية كلها. ونسى هؤلاء الدعاة العاجزون والمضللون شعار الصهاينة «من النيل إلى الفرات»:

وتجاهل هؤلاء العجزة المضللون المزورون لكل تاريخ شعبنا وللحقائق الصلدة القاسية، تجاهلوا أن **فلسطين ليست هى هدف الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل من حيث هى فلسطين، بل هى هدف هؤلاء الأعداء من حيث هى فقط المدخل الطبيعى للسيطرة على الدول العربية كلها واستعبادها ونهب ثرواتها وخاصة البترولية. وفى مقدمة هذه الدول مصر.**

(فلا وجد بفلسطين من الثروات ما يغري الأمريكيين بصرف مليارات الدولارات على حملاتهم الحربية المتعددة على الشعوب العربية عن طريق مرتزقتهم الصهاينة دون مقابل، إلا عيون هؤلاء المرتزقة اللهم إلا إذا كان الاحتكاريون الأمريكان سذجا أو

بلهاء، ولم يعرف عن الاحتكاريين الأمريكيين مصاصوا دماء الشعوب وورثة كل الاستعماريين القدامى من انجليز وفرنسيين إلخ. لم تعرف عنهم من قبل تلك السذاجة أو البلاهة ، بل إن السذاجة أو البلاهة، هى صفة من يصدقهم، ولكن المقابل الفعلى حقا لهذه المليارات مضاعفا مئات المرات. هناك قريب من فلسطين ، بل وفلسطين هى بوابته، وهو بترول العرب، **الذى تستغل الولايات المتحدة فى استثمار ٣٪ فقط!! من مجموع استثماراتها فى العالم كله، شرقه وغربه من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا وآسيا وإفريقيا، ليعود عليها ٥٠٪!! من عائد كل تلك الاستثمارات فى قارات العالم الخمس. تلك هى الحقيقة المرة).**

ومن ثم فإن إصرارنا على توضيح حقيقة المشكلة الوطنية التى تواجه **بلادنا وإصرارنا على الربط الكلى والدائم بين قضيتنا الوطنية والقضية الوطنية الفلسطينية ربطا عضويا، واعتبار مصر طرفا أصيلا، بل الطرف الأساسى الموجه ضده عدوانية الاستعمار الأمريكى الإسرائيلي. وإن فلسطين هى فقط الممر لهؤلاء الاستعماريين إلى بلادنا، إن إصرارنا** هذا على توضيح هذا المفهوم الحقيقى السليم، حتى يعود إليه الجميع هو الطريق الوحيد لتصحيح المسار الوطني، لصالح، ليس شعب فلسطين وحسب، بل لصالح الشعب المصرى أساسا.

وتصحيح المسار الوطنى الذى اختل من اتفاقيات «كامب ديفيد» وذلك حتى يمكن هزيمة الاستعمار الأمريكى وعلامة ذلك القضاء على أداته العدوانية إسرائيل، هذا التصحيح ليس فقط لاعتبارات تتعلق بالكرامة الوطنية والسيادة الكاملة على ترابنا الوطني، وليست السيادة المنقوصة بالقوات متعددة الجنسيات فى سيناء، التى هى فى الحقيقة قوات حلف الأطلس التى تسيطر عليها وتقودها أمريكا أى قوات احتلال (لاحظوا التلاعب بالألفاظ الذى يجيده الاستعماريون الأمريكيون لخداع الشعوب. فبدلا من كلمة قوات احتلال المقيتة والمكروهة من الشعوب وهى حقيقة هذه القوات استخدم الاستعماريون الأمريكيون اصطلاحا مبتكرا هو «القوات متعددة الجنسيات»

يفى بنفس الغرض، فى محاولة لإخفاء الطبيعة الأمريكية الاستعمارية العدوانية لهذه القوات عن الشعب فى الوقت الذى لا يتغير فيه هذا الإصطلاح التضليلى من مضمون هذه القوات وأهدافها لا فى كثير ولا قليل). نقول، ليس تصحيح هذا المسار، بسبب تلك الاعتبارات وحدها، **وإنما هذا التصيح هو الطريق الوحيد والذى لا طريق غيره لرفاهية شعبنا واستغلال مواردنا وثرواتنا الوطنية وهى كثيرة لصالح شعوبنا لا لصالح الاستعماريين الأمريكيين.**

لقد كان هدف كفاح زعمائنا الوطنيين من عرابى إلى مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس للتحرر من الاستعمار الأوروبى والبريطاني، هو تمكين شعبنا من إرادته فى موارده الوطنية وثرواته لبناء مجتمع للرخاء والرفاهية. ولم يكونوا مخطئين فى الربط بين التحرر والديمقراطية والرخاء.

وسيظل كفاحنا ضد الاستعمار الأمريكي، وهو العدو الجديد والأكثر شراسة ودهاء والذى حل محل الاستعمار البريطاني، سيظل هذا الكفاح مستمرا حتى نهزمه ونقضى على أداته إسرائيل. وسيظل هذا الطريق رغم صعوباته وقسوته، وتأسيا بمفهوم ونضالات زعمائنا الوطنيين القدامي، هو الطريق الوحيد السليم لتقدم شعبنا ورفاهيته ولا بديل له.

ذلك أنه بدون هزيمة أمريكا، وآية تلك الهزيمة **وعلامتها الوحيدة**، للقضاء على أداتها العدوانية إسرائيل، بدون ذلك يستحيل وقف حملاتهم العسكرية المستمرة على أوطاننا، لاقتطاع المزيد من الأرض وإخضاع المزيد من الحكام العرب العاجزين، لاستغلال ونهب المزيد من ثرواتنا، وهى الحملات التى تتكرر كل عشر سنوات تقريبا وتتسبب فى تعطيل تقدم شعوبنا وفى إفقارها .(٤٨،٥٦،٦٧،٧٣).

ومن هنا فأن الفصل بين الهدف الوطنى وأهداف التنمية والتقدم والرخاء، وهو الفصل التعسفى الذى يروج له المضللون من مؤيدى الاستعمار الأمريكي، الذين يعتبرون شعوبنا هى المسئولة عن هذه الحروب وليس الاستعماريون الأمريكيون وأداتهم إسرائيل، هذا الفصل التعسفى بين الهدفين، هو صرف لشعوبنا عن طريقها

السليم وابقائها فريسة لهؤلاء المستعمرين وإصابتها بمزيد من التخلف والفقر، كما أثبتت الأعوام التى تلت الصلح المشين مع إسرائيل، والتى زاد فيها إفقار بلادنا بسبب الاستثمارات الأجنبية والفوائد الباهظة للديون الأجنبية والخضوع للبنك الدولى التى تسيطر عليه أمريكا، وتزداد فيها معاناة معظم طبقات شعبنا من قسوة الحياة والغلاء الجهنمى نتيجة لذلك، وكل هذا عكس ما ادعاه السادات كلية من أن الصلح منع العدو، أى الاستسلام له سيجلب الرخاء لشعبنا. لقد جلب الخضوع للعدو المزيد من البؤس والشقاء والتعاسة يا دعاة «كامب ديفيد».

ولا يفترق كثيرا عن دعاة الرضوخ الصرحاء للأمريكان فى مجال تضليل الشعب - الآخرون الذين يضللون باسم المؤتمر الدولى والحل السلمى وغيره من ألاعيب وحيل «الاستعمار الأمريكى» مهما كانت حجمهم لتبرير هذه السياسات الاستعمارية مغطاة بأرديه وطنية أو تقديمه زائفة.

ومن ثم تأخذ الدعوة لبناء جبهة وطنية ديمقراطية شعبية متحدة فى هذه الظروف الحرجة التى يمر بها وطننا وتضم جميع القوى السياسية الراغبة فى توحيد قوى شعبنا وفى تصحيح مسارها فى مواجهة الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل، وهى الدعوة التى لم نيأس من المناداة بها طوال أكثر من عشرين عاما مضت تأخذ هذه الدعوة أهمية قصوى فى وجه الدعاوى الخاطئة، ضيق الأفق، لإنشاء جبهات أو تحالفات مغلقة متعددة يعادى بعضها البعض، ولا تؤدى إلا إلى زيادة تمزق الشعب إلى شيع متفرقة متناحرة قد تؤدى إذا لم تتدارك الأمور القوى الأكثر وعيا، نقول قد تؤدى إلى حرب أهلية، وهو ما يخدم فى النهاية بل وما يسعى إليه جاهدا الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل.

وسواء من هذه الجبهات، الجبهة التى يدعو إليها بعض الكتاب لمساندة الحكومة فى هذه الجبهة، وهل فى مواصلة لنفس سياساتها الحالية التى أدت إلى ظهور هذه الحالات من الإرهاب، وهى قليلة وأن ضخمت الحكومة وأجهزتها الإعلامية من أمرها كثيرا. إلا أنها قد تتزايد إذا ما استمرت الحكومة فى تجاهل جميع القوى السياسية الأخرى أم أن الحكومة سوف تتبع سياسات جديدة تتفق عليها من أطراف الجبهة

الآخرين التى يدعو لها هؤلاء الكتاب وتصحيح سياسات الحكومة الخاطئة؟
ويلاحظ أن الحكومة تضخم و«تهول» من أمر هذه الحوادث لسببين الأول لأنها وقد خاصمت جميع القوى السياسية الأخرى وبالأحرى الشعب كله، فقد انعزلت عن الشعب إلى حد كبير، وبالتالى زاد خوفها من هذه المحاولات واستعاضت عن حماية الشعب وهى الأساس والمهم بأجهزتها القمعية المتعددة. وثانى هذه الأسباب والمترتب على السبب الأول هو تبريرها لاستمرار بقاء الأحكام العرفية والقوانين السيئة السمعة المعادية للشعب. لتخويف الشعب من ناحية وتبرير إجراءاتها التعسفية ضد المئات إن لم يكن الآلاف من أبنائنا من ناحية أخرى وأيضا توطئة للمزيد من هذه الإجراءات التعسفية.
على أن أسوأ أنواع الجبهات المقترحة جبهتان أو بالأحرى محوران:
١ – جبهة أو تحالف أو، وهو الاسم المحبب لأصحاب هذا المحور وحدة اليسار، أو سمه ما شئت من أسماء تحالفات ما يسمى باليسار لانعزالية هذه التحالفات التى أدت بسبب تغافلها من الناحية الفعلية لا الكلامية، للاستعمار «الأمركى وأداته إسرائيل، إلى الوقوع فى أحابيله بتبنيها مقولته الاستعمارية: الحل السلمي، وحل مشكلة الشرق الأوسط والاعتراف بإسرائيل وبالقرار ٢٤٢ إلخ بحجة الشرعية الدولية والحفاظ على السلام العالمى وغير ذلك من الترهات ويتعامى هذا المحور عن الغالبية من الشعب حكومة ووفدا وإخوانا وشيوعين، ولا يرى إلا قلة الأقلية ويخلع عليها ألقاب اليسار الفخيمة، ويحارب بدون كيشوتية واضحة من أجل اشتراكية مزعومة ،ومزيفة، جاهلا أو متجاهلا، أن قضية القضايا التى تواجه وطننا اليوم ولفترة طويلة هى القضية الوطنية ومواجهة أمريكا وإسرائيل.

ومفتاح النجاح فى هذه المواجهة هو الحريات السياسية وأعرض جبهة وطنية ديمقراطية متحدة ومتحالفة اختياريا.

وهذا الجهل أو التجاهل هو السبب الرئيسى والحقيقى فى نمو الاتجاهات الفاشية والغيبية إذ لا يجد شعبنا خاصة الشباب من أبناء الطبقات الوسطى التى تتفشى

بينهم هذه الحالة والذين أسودت أمامهم الدنيا من عظم ما يواجهون من مشاكل ليس أقلها عدم وجود عمل أو فرص للزواج والسكن المعقول فى المدى المنظور، لا يجد هؤلاء لا عند من يدعون اليسارية ولا عند غيرهم من القوى السياسية «الرسمية» أى الأحزاب الحكومية أن جاز التعبير لا يجدون عندهم الحل الصحيح لمشاكل شعبنا.

٢ - تحالف ما يسمى إدعاء بالتيار الدينى أو الإسلامى الذى يريد إنشاء بابوية إسلامية غريبة على الإسلام، تكفر من لا يخضع لسياسات مدعية، وتضرب المسلمين بعضهم ببعض، وترفع شعار الحكم بالقرآن وهو الشعار الذى قال عنه على بن أبى طالب فى الرد على أسلافهم الخوارج من أربعة عشر قرنا: هذا حق يراد به باطل. لأن حاملى السيف وليس القرآن هم الذين سيتولون تنفيذ الأحكام تبعا لأهوائهم بسيوفهم التى ارتوت من دماء المسلمين إذا ما قدر لهم أن يستولوا على الحكم بهذه المقولة الباطلة والقرآن برئ من كل ما يضمرون وإلا فليقولوا لنا أن الوحى الذى انتهى بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، قد عاد ونزل عليهم وحدهم دون باقى المسلمين وأعطاهم تفويضا لهم وحدهم بأنهم الحاكمون باسم الإسلام ولكن ليرونا أولا هذا التفويض ولن يستطيعوا هذا أبدا..

ويجئ الرد من قبل الحكومة تجاه مدعى التيار الديني، وهى التى سبق لها منذ عهد السادات أن رعتهم وأمدتهم بالأموال لضرب القوى السياسية الأخرى المعارضة لها، يجئ الرد سياسة عنيفة خاطئة وغير مبررة ، وقوانين ضد الشعب كله، مما يهدد وطننا بأفدح الكوارث.

ويتكرر هذا «المقلب» الذى توقع فيه الحكومة هذا التيار منذ عهد الملك حتى الآن ولا يتعظون.

لقد أكدنا مرارا فى «الحقيقة» وفى غيرها من المجلات أن مشكلة مصر هى مشكلة سياسية.

فالسياسة السليمة لابد أن تؤدى إلى مناخ آمن واقتصاد سليم مزدهر . بينما تدمير السياسة الخاطئة كل مجهودات الشعب وتبعثر جهوده أدراج الرياح وتتيح الظروف لنشوء جميع الرؤى الخاطئة ولنجاح مؤامرات الاستعماريين الأمريكيين وأداتهم

إسرائيل وأجهزتهم، وهى كثيرة لاستغلال هذه الظروف الصعبة التى يعانيها الشعب فى زمن لا يجد فيه لا الوسيلة ولا حتى الأمل فى إصلاحها.

ذلك أنه من بين المشكلات العديدة التى تواجه شعبنا منذ يوليو ٥٢ تبرز المشكلة السياسية بصفتها جوهر وأساس كل المشكلات الأخرى وعلى مدى فهمها وإيجاد الحلول السلمية لها، يمكن حل كل المشكلات والقضايا الأخرى.

ونتيجة لكفاح شعبنا الدائم من أجل الحصول على حرياته ولاستعادة ذلك الجزء من الحريات الذى كان شعبنا قد أحرزه قبل ٥٢ وعصف به انقلاب يوليو، وخاصة ذلك الكفاح الذى دار فى السنوات التى أعقبت هزيمة ٦٧ الذى وصل بعد وفاة عبد الناصر بين مختف أقسام البرجوازية إلى مستوى عال وهو ما أدى إلى بدء يقظة جديدة للوعى الشعبى والعمالي، نتيجة لكل ذلك تشهد البلاد انفراجة نسبية فى الحريات يتوقف تطورها لتحقيق الحريات السياسية كاملة على مواصلة النضال من أجل الحريات من ناحية، وعلى أسلوب هذا النضال من ناحية أخري.

إن القوى الوطنية على اختلاف منابتها الفكرية وأصولها الطبقية ومناهجها السياسية مطالبة بأن تسهم فى هذا النضال من أجل الديمقراطية، ومن ثم تحقيق الحريات السياسية كاملة للشعب حتى يتاح للجميع حق التعبير والتنظيم دون قيود.

ومن تنوع الأفكار والاجتهادات، تبعا لتنوع القوى الوطنية السياسية، وعدم احتكار قوة وطنية واحدة للرأى أو للحكم. ومن الصراعات السلمية بين مختلف هذه القوى السياسية ومختلف وجهات النظر، تنشأ جبهة وطنية متجدة وقوية على أساس ما هو مشترك بين هذه القوى الوطنية.

من هذا التنوع بسبب الأصول والمناهج المختلفة، ومن هذا التوحد والتحالف بسبب القضايا المشتركة تولد هذه الجبهة جبهة قادرة على التصدى لمشكلات شعبنا وإيجاد الحلول الملائمة لها، وأولا وقبل كل شيء مجابهة العدوان الاستعمارى الأمريكي الإسرائيلى سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكريا والتغلب عليه.،

فلندخر بندقيتنا وكل رصاصة فيها لجنود الاستعمار الأمريكى ومرتزقته الصهاينة ولنعد سجوننا لا لاستقبال أبنائنا مهما اختلفت آراؤهم بل للقصاص من سفاحى دير

ياسين وقتلة تلاميذ بحر البقر من آمثال بيريز وشامير وبيجن.
إنه من غير المعقول فى ظل هذه التلال من المشاكل والعدوان الأمريكى المتستر وراء إسرائيل، ألا تكون بين مختلف القوى السياسية فى مصر ما يوحد بينها فى هذه الجبهة المرتجاة.

جبهة تساهم كل القوى السياسية فى مصر المستعدة للإسهام فى حل قضايا الوطن والتى ترغب فى الاشتراك فيها بما فيها الحكومة الحالية وريثة ٢٣ يوليو هذا. إذا ما وافقت هذه الحكومة على برنامج الجبهة المعادى للاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل، جبهة تساهم كل هذه القوى فى بنائها وتحمل مسئولية تنفيذ برنامجها الذى تتفق عليه.

جبهة تنشأ على أساس مبدأ التحالف الاختيارى بين جميع الفرقاء المشتركين فيها.

جبهة يشتد عودها ويتصلب من خلال مبدأ الصراع والوحدة، حتى يمكنها تحقيق الآمال المعقودة عليها.

فإذا ما وجدت هذه الجبهة، فستكون قادرة على التصدى للفتنة الطائفية والإرهاب، هذه البثور التى تطفح على سطح الحياة السياسية فى مصر، لأنها أعراض مرض واحد هو عدم القدرة على مواجهة الاستعمار الأمريكى الإسرائيلى الذى يفرز هذه الأعراض وغيرها من الشرور التى رزء بها وطننا فى غيبة الوحدة الوطنية الحقة المؤسسة.على جبهة وطنية ديمقراطية، وما يترتب على غياب هذه الوحدة الحقة من عدم القدرة أيضاً على حل باقى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

إن تحقيق الحريات السياسية كاملة، هدفه تمهيد الطريق أمام جميع القوى السياسية فى مصر للمساهمة فى إدارة شئون البلاد مساهمة فعلية لا مساهمة كلامية على صفحات الجرائد. وهذه المشاركة الفعلية للجميع فى إدارة شئون البلاد هى السبيل الوحيد لإقالة الوطنى من عثرته.

وتحقيق الحريات السياسية كاملة للشعب، يتطلب فى المقام الأول حرية تكوين الأحزاب دون قيد أو شرط، ومن ثم إلغاء قانون الأحزاب الحالي، باعتبار أن حق تكوين الأحزاب هو جوهر الحريات السياسية وهو حق أصيل للشعب المصرى.

وفى ظل الظروف الحالية فإن التأكيد على حرية العقيدة الدينية والإدانة الشعبية الوطنية لمن يحاولون المساس بوحدة الشعب على أساس طائفى كريه معاد للشعب مثلما هو معاد لكل الأديان، أمر بالغ الأهمية والخطورة.

وعلى جميع القوى السياسية وخاصة التى تتسمى باسماء يدخل فيها اسم الدين «كالإخوان المسلمون» عليهم أن يتخذوا موقفا واضحا ضد إثارة هذه العدوان الطائفية من الناحية الفعلية لا الكلامية وسيحاسب الشعب يوما كل المتسببين فى هذه هذه الجرائم.

إن باقى الحريات لا تقل أهمية وفى مقدمتها حرية الصحافة وحق الاجتماع العلنى والتظاهر والإضراب السلميين.

ثم إن إلغاء حالة الطوارئ والقوانين سيئة السمعة المقيدة للحريات والمعادية لمصالح شعبنا والوقوف بحزم ضد التعذيب وتجريم ومعاقبة من يقومون به حتى يتوقف نهائيا وإلى الأبد، وغير ذلك من الحريات وحقوق الإنسان يجب أن تكون محل انفاق جميع القوى السياسية الداخلة فى الجبهة سواء المعترف بها أو غير المعترف بها حكوميا حتى الآن رغم تواجد هذه الأخيرة فى حقل العمل السياسى وغالبا بتأثير يفوق الأحزاب الرسمية.

إلا أن كل هذه الحريات ونواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للشعب التى يمكن أن تصبح محل اتفاق هذه القوي، لا يمكن الوصول إليها إلا بعد محاورة وطنية تشترك فيها جميع هذه القوى والشخصيات الوطنية.

إننا بلا شك نختلف فكريا وسياسيا فى بعض القضايا – وقد أوضحنا موقفا منها فيما سبق من إعداد «الحقيقة» – نختلف مع هذه القوى مثلما تختلف هى الأخرى مع بعضها البعض، إلا أن الحوار السياسى وليس الحوار بالبندقية أو السجون يجب أن



يكون اللغة المشتركة بين القوى الوطنية بهدف توحيد كل قوى الشعب.
إننا مع الجبهة فى العمل السياسى وضد الجبهة فى المجال الأيديولوجى أو الفكري، لأن الجبهة فى المجال الأيديولوجى أو الفكرى تعنى الموات للعقل والفكر والرأى.
فالصراع الفكرى والسياسى لا يستلزم العداء بين القوى الوطنية بل يستلزم الحوار مع الاختلاف والاتفاق **بل إن الجبهة الوطنية تقترض أصلا فى رأينا، الاتفاق فى قضايا معينة، القضايا الأساسية المشتركة بين الجميع ، والاختلاف فى القضايا الثانوية.**
من أجل إيجاد علاقات سياسية صحية بين الأحزاب موقفنا من الصراعات السياسية فيما بينها عندما يحرز شعبنا حرياته السياسية، بل، ولكى يحرزها، فأنه لابد من إيجاد علاقات سياسية صحيحة بين مختلف القوى السياسية حتى يمكن:
١ – أن تتصارع سياسيا بطريقة سليمة، ذلك أن الصراع السياسى وارد ودائم ومستمر، **والمهم كيف يدار هذا الصراع لصالح الوطن**، وأفضل السبل لخدمة الشعب، ومن ثم.
٢ – تتحالف (اختياريا بالطبع) فى جبهة متينة لحل قضايانا الوطنية ومشاكلنا الكثيرة.
ونعتقد أنه سيكون مفيدا للجميع فى حالة القبول بهذا المبدأ (أى الوحدة والصراع) التقيد بمبدأ عدم نظر كل حزب إلى الآخر نظرة تاريخية فقط، أى عدم نظر كل إلى ماضى الآخر فحسب. ومن باب أولى عدم اعتبار أى حزب نفسه على أنه المعبر الوحيد، سواء عن طبقة ما، أو عن الشعب بأسره، فتلك نظرة شمولية عفى عليها الزمن وثبت ضررها القاتل بمصالح شعبنا على مدى ثلث القرن الأخير.
إن هذه النظرة الجامدة ستثبت العداوات التاريخية. وهى نظرة خاطئة غير جدلية، تعتبر كل شىء ثابتا فى هذا الوجود، وهى عكس الحقيقة تماما، فكل شىء يتطور والأحزاب والقوى السياسية ليست استثناء من هذا القانون الجدلي. فهى تتطور وتغير مواقفها بل وأحيانا مفهوماتها بتغير الظروف والأحوال.
ولو نظرنا مثلا قريبا وهو المنابر لوجدنا مضمونها قد تغير خلال أمد قصير.

وتحولت إلى أحزاب. ونشأت بينها تحالفات وانفضت تحالفات لتنشأ تحالفات جديدة. وغيرت أحزاب منها مواقعها من كامب ديفيد وهكذا دواليك إلخ.. إلخ.

إننا لا نريد الحريات السياسية ترفا ولا لهوا ولا حتى لمجرد إحقاق حقوق الشعب المقدسة فى الحرية ولا تقليدا لدول الغرب البرجوازية التقليدية التى تتداول الحكم فيها أقسام البرجوازية عن طريق الانتخابات كل فترة معينة وهو الطريق الذى عجزت عن اتباعه دول ما يسمى بالعالم الثالث، التى لا تتداول أقسام البرجوازية المختلفة الحكم فيها إلا عن طريق الانقلابات (العسكرية غالبا) اللهم باستثناء الهند.

لا ليس هذا هو هدفنا. فليس هدفنا نقل تجارب الشعوب الأخري، حتى ولو كانت قد حققت تقدما كبيرا خلال تطورها وصراعاتها وتجاربها مع أنه علينا بالطبع واجب أن نتعلم وندرس بكل عناية ونستفيد من تجارب الآخرين إلا أن علينا أن نبنى حياتنا التى تتلاءم مع ظروفنا.

إننا نريد ديمقراطية تستطيع من خلالها القوى السياسية المختلفة أن تتصارع فيما بينها صراعا سلميا، من أجل الوصول إلى هدف رئيسى وأساسى وحيوى وعزيز على شعبنا كله ألا وهو توحيد كل هذه القوى السياسية، اختياريا بالطبع فى إطار واحد متين، لمواجهة الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل.

ذلك أنه بحكم طبيعة الأهداف الموضوعية التى يجب على وطننا تحقيقها فى المرحلة الحالية، أى تحقيق النصر على الاستعمار الأمريكى والقضاء على أداته إسرائيل، فإن هذه المرحلة تقتضى تحالفا وطنيا عريضا سيكون بطبيعته طويل الأمد، بسبب قوة العدو الذى نواجهه.

وهذا التحالف بشكل محدد وباستخدام مصطلح آخر، تحالف استراتيجي.

إن كفاحنا من أجل الحريات السياسية لكل القوى السياسية على اختلاف جذورها الطبقية ومنابتها الفكرية، وحقها فى الصراع السياسى الديمقراطى فيما بينها، وليس الصراع بالقنبلة والمدفع والسجون والأحكام العرفية والقوانين سيئة السمعة،

لأن كفاحنا هذا هو من أجل الوصول إلى وحدة اختيارية فى جبهة وطنية ديمقراطية متحدة، لأنها هى السبيل الوحيد لوحدة وطنية حقيقة.

وكلما زادت الممارسة الديمقراطية اتساعا، زادت صلابة الوحدة الوطنية.

وعندما تتبين جميع القوى السياسية فى مصر أن طريقها الوحيد لتحقيق رفاهية شعبنا وحل جميع مشاكله الاقتصادية والاجتماعية، لن يكون إلا عبر هزيمة الاستعمار الأمريكى والقضاء على إسرائيل، فسوف تنتهى وإلى الأبد جميع الانحرافات السياسية وبالذات انحرافى الفتنة الطائفية والإرهاب وهما الانحرافان اللذين يلقيان اليوم بظلالهما الكئيبة على وطننا الحبيب والذى يلعب الدور الرئيسى فى تغذيتهما ذلك الاستعمار الجهنمى نفسه.

وخلق وتشييد الجبهة الوطنية يعنى ، تعاونا طويل الأمد بين القوى السياسية المختلفة التى ستكون هذه الجبهة، لسبب بسيط وهو أن صراعنا ضد الاستعمار الأمريكى أمر سيطول أمده.

وبعبارة أخرى واضحة ولا لبس ولا غموض ولا إبهام فيها ومن وجهة نظرنا أننى سنستمر فى الدفاع عنها مهما أرجف المرجفون أخضاع الصراع الطبقى لصالح الصراع الوطنى ضد الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل حتى هزيمتها والقضاء على إسرائيل والدفاع فى الوقت نفسه عن المصالح والحقوق الأساسية للطبقة العاملة والكادحين عموما.

وتطور الجبهة فى المستقبل تحدده القوى المشاركة فى الجبهة نفسها، وفى هذا الرد على من يحاولون التشكيك فى دعوتنا للجبهة التى نرفع لواءها من سنين، ويدعى المخطئون فى حق الوطن بأننا ندعو لجبهة تكتيكية بقصد تحقيق مكاسب جزئية ثم ننقض عليها.

ووفقا لمبدأ التحالف الاستراتيجى ضد الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل، فأنه يحق للأحزاب والطبقات أن تحتفظ بطابعها المستقل، أى باستقلالها وحريتها فى التصرف داخل الجبهة الوطنية. فلا يجوز تضييع الحقوق الضرورية للأحزاب

والطبقات ضحية للتعاون والوحدة بل على النقيض من ذلك يجب التمسك بحقوق الأحزاب والطبقات ضمن حدود معينة يتفق عليها وذلك وحده يعود بالنفع على التحالف وكذلك يؤدى إلى تعاون بمعنى الكلمة، وخلافا لذلك سيتحول التحالف والتعاون إلى دمج (مثلما كان تحالف قوى الشعب العامل المزعوم فى الاتحاد الاشتراكى) وعندئذ لابد أن تضيع الجبهة الوطنية ضحية.

وتأسيسا على هذه المبادئ، ناقشنا فى «الحقيقة» عددا من القوى السياسية وانتقدناها. إلا أن هذا النقد الذى هو أسلوب الحوار السياسى الذى ندعو إليه لم يمنعنا من أن ندعو دائماً إلى بناء الجبهة الوطنية من مختلف القوى السياسية ومنها هذه القوى التى انتقدناها..

وعندما يحرز شعبنا حرياته السياسية، وفى مجرى النضال الطويل والدامى ضد الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل، فإنه قد تنشأ قوى سياسية جديدة، مثلما نشأت بعد ٥٢ قوى واندثرت أخري، فنشأ الناصريون واندثر السعديون والدستوريون رغم بقاء الطبقات على حالها، وقد تساهم هذه القوى الجديدة فى النضال المقدس ضد الاستعمار الأمريكى ويجب الترحيب بها ومساعدتها على أن تنتظم فى صفوف الجبهة الوطنية الديمقراطية. طالما تعلن عداءها للاستعمار الأمريكى وإسرائيل، وإيمانها بالديمقراطية ويجب عدم وضع العقبات أو العراقيل فى وجه هذه القوى فى مساهمتها فى العمل الوطني.

إن الصراع الأيديولوجى والفكرى والسياسى بين مختلف القوى التى ستبنى الجبهة يجب ألا يتوقف شريطة أن يؤدى إلى تلاحم وتماسك الجبهة، ولذلك اشترطنا أن يكون هذا الصراع سلميا ، ومبدئيا، وهدفه التوحيد لا التخريب أو الانقسام.

ملف

خطاب إلى وزير الداخلية

بشأن تأسيس حزب شيوعى

طاهر البدرى

السيد/.........................

مرفق مع هذا الخطاب المرسل إلى السيد اللواء وزير الداخلية بشأن إعلانه برغبة فريق من المواطنين الشيوعيين فى تأسيس حزب، باسم «الحزب الشيوعى الديمقراطي»، ورغبتهم فى أن تتيح لهم الدولة الظروف الملائمة لكى يلتقوا للعمل على إقرار برنامجهم ونظامهم الأساسى واللائحة لكى يتقدموا بها إلى لجنة الأحزاب.

وغنى عن الذكر ومن مضمون رسالتنا إلى السيد وزير الداخلية، أننا نرى أن حق تكوين الأحزاب هو حق أصيل من حقوق الشعب المصري. بل، إن تكوين الأحزاب دون قيد أو شرط، طالما تعمل فى إطار الدستور، هو جوهر الحريات السياسية. وإننا نرى وجوب أن يكون لجميع القوى السياسية هذا الحق.

لذا فإننا نناشدكم العمل على تأييد طلبنا هذا حتى تتحقق لوطننا حرياته

السياسية ليتمكن من تشييد جبهته الوطنية أداته لبناء مجتمع مزدهر، يتغلب على مشاكله الاقتصادية وينتصر على أعدائه الأمريكيين وأداتهم إسرائيل.

وتفضلوا بقبول فائق الأحترام

تحريرا في:١٨/١٢/١٩٨٨

العنوان: ٤ شارع فلسطين – العجوزة – جيزة

تليفون: ٣٦٠٨٧٤٣

الاسم: طاهر البدري

التوقيع: طاهر البدري

المشرف على تحرير «الحقيقة» للتحرر والديمقراطية والسلام

السيد اللواء وزير الداخلية

تحية طيبة وبعد

أتشرف بأن أبلغ سيادتكم أن عدداً من زملائى الشيوعيين، إيماناً منهم بشعبنا العظيم، وحقه فى حياة حرة كريمة، تتفق وماضيه المجيد، وتقاليده السامية،

ووعياً منهم بمشاكل شعبنا التى طال عليها الزمن، وازدادت تعقيداً وخطورة، إلى الحد الذى أصبحت تهدد كيان وطننا ذاته.

وثقة منهم فى مستقبل شعبنا، وفى قدرته على القضاء على كل العقبات التى تقف فى طريق ازدهاره ورخائه، والتى تتمثل فى الهيمنة الأمريكية، التى خلقت لها قاعدة عدوانية فى فلسطين أسمتها إسرائيل، تستخدم مرتزقتها من الصهاينة فى شن حملات غزو عسكرية على أوطاننا كل عشر سنوات تقريباً، مما أوقع الهزيمة ببلادنا عدة مرات، كانت أشدها هزيمة يونيو ١٩٦٧، التى لم نستطع أن نزيل وصمتها حتى الآن، وكل هذه الحملات العدوانية الاستعمارية، الإسرائيلية اسماً، الأمريكية فعلا: تخطيطاً وتمويلاً وتسليحاً، تهدف إلى إخضاع شعوبنا العربية واستعباد أهلينا واستغلال ثرواتنا.

وشعوراً منهم بمسئوليتهم الوطنية:

وحرصاً منهم على المساهمة الإيجابية فى تحقيق الحريات السياسية كاملة، ومن ثم الديمقراطية لشعبنا العظيم،

قد تفضلوا وشرفوني، بأن أوكلوا إلى أن أتقدم نيابة عنهم، باتخاذ الإجراءات الدستورية والقانونية اللازمة، لتشكيل حزب باسم «الحزب الشيوعى الديمقراطي».

إن التيار السياسى الشيوعى الذى برز إلى الوجود فى مصر مواكبا ثورة ١٩١٩ المجيدة، وكان له حزبه الشيوعى العلنى المعترف به حتى عام ١٩٢٤، والذى كان تعبيراً صادقاً عن قطاع أساسى من شعبنا، وهو القطاع الذى يضم الكادحين من عمال وفلاحين ومثقفين وغيرهم من الوطنيين، إن هذا التيار قد أصبح جزءاً حياً من نسيج حياتنا الوطنية، ومكوناً أساسياً من تاريخ شعبنا وضميره وعقله، وحقيقة راسخة فى وجدان شعبنا، ومعبراً تعبيراً صادقاً وأميناً عن مصالح شعبنا بكل طبقاته وفئاته المعادية للاستعمار.

وغنى عن الذكر أن هذا التيار السياسى يهتدى فى كفاحه من أجل تقدم شعبنا ورفاهيته، بمنهج الماركسية اللينينية، وهو المنهج الذى اهتدت إليه البشرية عبر تجارب ومحن واجتهادات مفكريها على مر القرون. وهو منهج توصل إليه الإنسان باجتهاده، ومن ثم فهو يتطور باستمرار بتقدم الإنسان فى جميع مجالات المعرفة، ويضيف إليه الإنسان من فكره وجهده كل يوم، بتطور الحياة الإنسانية نفسها ورقيها وتجاربها. إنه منهج إنسانى متطور وليس عقيدة جامدة أو نصوصاً مقدسة، أو دينا ربانيا.

إنه من صنع البشر ويتطور ويتقدم بتطورهم وتقدمهم وليس لأحد منهم أن يدعى حق احتكاره أو تفسيره. فهو ملك لكل إنسان يستخدمه حسب ملكاته وفهمه ووعيه وينجح أو يفشل فى استخدامه لصالح الوطن حسب قدراته واجتهاداته ومن ثم فكل إنسان مسئول عن تطبيقه بصورة خلاقة وليس أحداً غيره.

وقد أكدت الملاحقات العديدة والاضطهادات التى واجهها التيار الشيوعى المصرى منذ نشأته، والتضحيات والشهداء الذين قدمهم، أنه لم ولن تجدى محاولات إنكاره أو عزله أو التضييق عليه أو اضطهاده، ولن تقضى عليه.

على العكس، فكل هذه المحاولات البغيضة، التى تمارسها قوى معادية لشعبنا والتى

هى ضد مجرى التطور الإنسانى ككل، ممارسات لا تضر بالشيوعيين المصريين فقط، أو تعطلهم عن المساهمة الكاملة فى كفاح شعبنا البطولى ضد الاستعمار والصهيونية فحسب، وإنما هى تضر فى الأساس بمصالح شعبنا، التى لا يمكن تحقيقها دون توحيد كل قواه الوطنية، على اختلاف منابتها الفكرية، وأصولها الطبقية، توحيدها فى جبهة وطنية ديمقراطية لحل المشاكل الجسام التى تواجه شعبنا، وأخطرها بلا ريب، مواجهة المعتدين الأمريكيين وأداتهم إسرائيل والانتصار عليهم.

وهذا التوحيد لقوانا الوطنية، هو الخط الأساسى فى سياسة الشيوعيين المصريين.

وأيا كانت المشاق والمصاعب التى واجهت الشيوعيين المصريين فى الماضي، أو ستواجههم فى المستقبل، ومهما كانت التضحيات التى قدموها فسنظل دائماً أمناء على حقوق شعبنا، مستعدين دائما لبذل جميع التضحيات التى يتطلبها كفاح شعبنا، ومستعدين دائماً لتصحيح أخطائنا دون استعلاء أو غرور، وسنظل دائماً وأبداً مكافحين أشداء من أجل توحيد كل قوى وطننا، ديمقراطياً، فى جبهة وطنية متحدة، تضمن مساهمة كل قوى الشعب فى إدارة شئون الوطن.

وستكون هذه الجبهة، أداة شعبنا لتحقيق أهدافه والانتصار على أعدائه.

ولا يتصور أن تستقيم للشعب أموره أو أن تتحق له ديمقراطية حقيقية تتيح له أن ينطلق مبدعاً فى جميع مجالات الحياة وتحقيق النصر على أعدائه وبناء وطن مزدهر حقاً فى الوقت الذى يطارد أو يضطهد أو يضيق على تيار أساسى من تيارات شعبنا السياسية.

ويصح هذا القول، ليس فقط على الشيوعيين وإنما أيضا على جميع القوى الوطنية الأخرى.

إن الكفاح التاريخى للشيوعيين المصريين ضد الاستعمار البريطانى والأمريكى ومن أجل الديمقراطية، ونذكر فقط ببعض معالمه : كفاحهم فى ١٩٤٦، بين صفوف اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، وكفاحهم فى ٥٠ -١٩٥١ بين صفوف الفدائيين خلال الكفاح المسلح فى القنال، ودورهم المتميز والرائد خلال معركة العدوان الثلاثى فى ٥٦، والتضحيات الغالية والشهداء الذين قدموهم من أجل رفاهية شعبنا وتقدمه،

وأفكارهم المتقدمة الرامية إلى توحيد كل قوى الوطن لمجابهة المعتدين الأمريكيين وأداتهم إسرائيل، إن هذا الكفاح والتضحيات هى الأسس الصالحة لتشكيل حزبهم، الذي آن الأوان لعودته المشروعة إلى العمل السياسى العلنى الذى حرموا منا آماداً طويلة.

إن الهدف الأسمى لنشاط حزبنا، الذى سوف يمارسه فى إطار من الشرعية، وتحت مظلة الدستور والقانون، هو بناء الوحدة الوطنية الحقة المؤسسة على جبهة وطنية متحدة، اتحاداً اختيارياً. من جميع القوى السياسية، والنقابية، والشخصيات المستقلة، الراغبة فى المشاركة فى تحقيق الديمقراطية، وهزيمة العدوان الأمريكي، والقضاء على أداته الأجرامية العدوانية العنصرية إسرائيل.

وبالطبع، فإن تشييد هذه الجبهة ديمقراطياً يقتضى بداهة السماح لكل هذه القوى بأن تشكل أحزابها بحرية تامة دون قيود أو شروط.

ومع تنوع القوى السياسية، تتنوع الأفكار والاجتهادات ، وهذا من طبيعة الأشياء والناس، ومن ثم لابد أن يدور فيها صراعات فكرية وسياسية حول أفضل السبل لتقدم شعبنا، وهى الصراعات التى نرغب أن تتم سلمياً بين مختلف هذه القوى ومختلف وجهات النظر.

وفى رأينا فإنه رغم وجود هذه الاختلافات بين هذه القوي، والتى نعتقد أنها اختلافات ثانوية فإنه توجد بينها أهداف أساسية مشتركة، وأهم هذه الأهداف المشتركة فى هذه المرحلة من تطور وطننا هدفان: تحقيق الديمقراطية، وهزيمة المعتدين الأمريكيين ومرتزقتهم الصهاينة.

وهذان الهدفان المشتركان الجوهريان فى تطور شعبنا هما فى رأينا الأساسى الصلب المتين لقيام جبهة متحدة وقوية من أجل تحقيقهما، ومن ثم تحقيق بقية المصالح الأساسية لشعبنا ككل.

إن هذه الجبهة تمنع احتكار قوة وطنية واحدة للرأى والحكم، خاصة أن هذه الجبهة المرتجاة، هى الأداة الوحيدة التى يمكنها تحقيق أهداف شعبنا ويغيرها لن يستطيع أن يتغلب على أعدائه الاستعماريين الأمريكيين أو يحل مشاكله الاقتصادية.

ذلك أنه فى خلال ثلث القرن الأخير أو يزيد ، وبسبب غياب الحريات السياسية منذ يوليو ١٩٥٢، وحلول الحكم الدكتاتورى الفردى محل ذلك القسط من الحريات، الذى كان شعبنا قد أحرزه خلال كفاحه الشاق والقاسى ضد الاستعمار البريطانى والقصر، كبتت كل القوى الوطنية فترسبت بينها عداوات، وأصبح هم كل فريق منها أن يصارع الآخر فأصبح الوطن عاجزاً عن مواجهة أعدائه، أو حل مشاكله وأحاطت به الهزيمة إثر الهزيمة من أعدائه الاستعماريين الأمريكيين وأداتهم إسرائيل.

إلا أن نتيجة لكفاح شعبنا الدائم من أجل الحصول على حرياته، تشهد البلاد الآن انفراجة نسبية فى الحريات، يمكن أن تستكمل سلمياً، إذا ما أتيح لباقى القوى السياسنية، التى لم يصرح لها بأحزاب رسمياً، بأن تشكل أحزابها بحرية فى إطار الدستور.

واستكمال الحريات السياسية يستلزم وبنفس الدرجة من الأهمية أن تجرى الانتخابات دون تزييف أو تزوير لإرادة الشعب، وأن تلغى القوانين سيئة السمعة المعادية للشعب، كقانون الأحزاب وقانون العيب وقانون المدعى الاشتراكى وقوانين الانتخابات الأخيرة، وقانون سلطة الصحافة إلخ.. إلخ وأن تلغى كذلك حالة الطوارئ وغيرها من القيود المفروضة على شعبنا.

ومما لاشك فيه، أن مسئولية تحقيق الديمقراطية سلميا، وتجنب شعبنا مآسى صراعات دموية لتحقيق حرياته التى كافح طويلا، وسيظل يكافح إلى أن يحققها إنما تقع على عاتق الحكومة أساساً، لأنها هى التى وضعت هذه القوانين والقيود ولم تعد ظروف وطننا تسمح ببقائها.

ونود أن نعلم سيادتكم أن نشاطنا فى صدد التحضير لحزبنا يتسم بأمرين.

أولا: العلنية:

ثانياً: عدم السرية

ومع إننا بالطبع لم نستكمل حتى الآن، مقومات هذا الحزب السياسية من ناحية البرنامج واللائحة، إلا أن البرنامج الانتخابى الذى تقدمت به إلى ناخبى دائرتى فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة إبريل ١٩٨٧ - الدائرة ٤ بالقاهرة، دائرة السيدة زينب

– والمرفق مع هذا الخطاب، قد يكون أساساً لمشروع برنامج للحزب، إلا أن يقره الحزب أو يعدله أو يغيره – وذلك بالإضافة إلى باقى نظامه الأساسى من لائحة وغيرها – فى مؤتمره الذى نرجو أن يعقد عقب مباشرة نشاطه القانون العلنى.

لذلك أرجو، نيابة عن هؤلاء الزملاء، أن تتيح لهم الدولة الظروف الملائمة، لكى يلتقوا للعمل على إقرار برنامجهم ونظامهم الأساسى ولائحتهم الداخلية، وأن يتحاوروا حول هذه الوثائق، لكى يتقدموا بها إلى لجنة الأحزاب على النحو الذى رسمه القانون.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام .

تحريراً في: / / ١٩٨٨

العنوان: ٤ شارع فلسطين – العجوزة – جيزة

الأسم: طاهر البدري .

التوقيع/

المشرف على تحرير «الحقيقة» للتحرر والديمقراطية والسلام

المرفقات: البرنامج الانتخابى للدائرة الرابعة

القاهرة – دائرة السيدة زينب

ملحوظة: أرسلت نسخ من هذا الخطاب إلى كل من:

السيد رئيس الجمهورية.

السادة رؤساء الأحزاب.

السادة رؤساء تحرير الصحف.

السادة رؤساء النقابات المهنية والعمالية والاتحادات

ونوادى هيئات التدريس بالجامعات

الشخصيات العامة

وكالات الأنباء.



طاهر البدري
البرنامج الانتخابي
أبريل ١٩٨٧

الجبهة الوطنية ا الديمقراطية المتحدة
طريقنا الوحيد إلى التحرر والديمقراطية والرخاء
الدائرة الرابعة
أقسام: السيدة زينب - الجمالية - الدرب الأحمر - منشية ناصر
قصر النيل - الزمالك

البرنامج الانتخابي

الجبهة الوطنية الديمقراطية المتحدة طريقنا الوحيد إلى التحرر والديمقراطية والرخاء

الهدف الوطني

«تحرير الأرض المصرية والعربية وهزيمة الاستعمار الأمريكى لبناء مجتمع الرخاء والرفاهية لشعبنا».

(أ) القضاء على الكيان العنصرى الصهيونى الإسرائيلي، أداة الاستعمار الأمريكى فى الوطن العربي، وأقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني.

(ب) تصفية كل المصالح الاستعمارية الأمريكية أساس كل أزماتنا الاقتصادية والاجتماعية.

الطريق لتحقيق الهدف الوطني

١ - بناء الجبهة الوطنية من القوى السياسية والحزبية وجميع الشخصيات الوطنية المستعدة للمساهمة بأى قدر، مهما صغر، فى تحقيق هدفنا الوطنى العظيم، كى تكون

نواة لجبهة عربية شاملة ضد الاستعمار الأمريكى وأداته إسرائيل، ومن ثم تكون قادرة على تكوين جبهة عالمية معادية للاستعمار.

إن الأساس المتين لبناء هذه الجبهة هو الانضمام الاختيارى الحر لكل فريق أو شخصية فيها.

٢ – نبذ المفاهيم الاستعمارية الأمريكية المسماة خداعاً بالحل السلمي، والتى ضللت شعوبنا طويلا، وحرفتها عن الطريق الوحيد السليم لتحقيق أهدافنا الوطنية، ألا وهو الإعداد لحرب تحرير شعبية عظمي، يكون هدفها الوحيد هزيمة الاستعمار الأمريكى والقضاء على أداته إسرائيل.

وهذا يقتضي:

(أ) وقف جميع الإجراءات لتطبيع العلاقات مع إسرائيل.

(ب) سحب الاعتراف بإسرائيل وإلغاء اتفاقيات «كامب ديفيد»

(جـ) إلغاء جميع التسهيلات الممنوحة لأمريكا وعدم القيام بأى تدريبات عسكرية مشتركة معها.

(د) سحب الموافقة على القرار ٢٤٢، وكذلك القرارات التى تعترف بالكيان العنصرى الصهيونى (قرارات مجلس الأمن أساساً والتى تتمتع فيه الولايات المتحدة بحق الفيتو، أى الاعتراض)، ابتداء من قرار التقسيم.

والعمل الجاد على الاستفادة من القرارات الأخرى العظيمة التى أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ضد إسرائيل والصهيونية، بصفة دائمة وبأغلبية ساحقة (خاصة فى السنوات الأخيرة، وذلك بعد أن تغير تركيب المنظمة الدولية فى السنوات الأخيرة بدءاً من ١٩٧٥ عنها فى عام التقسيم)، مما أفقد أمريكا هيمنتها السابقة على الجمعية العامة.

إن تحقيق هذه الأهداف الوطنية سوف يمهد الطريق لخلق جبهة وطنية قوية، ومن ثم جبهة وطنية عربية متماسكة، قادرة على هزيمة الاستعمار الأمريكى والقضاء على أداته إسرائيل.

وبناء هذه الجبهة يقتضى أولا وقبل كل شيء تحقيق الحريات السياسية كاملة

للشعب.
لقد حطم الحكم الدكتاتورى لضباط يوليو كل ما كان الشعب قد أمكنه تحقيقه من حريات خلال ثوراته ونضاله الطويل ضد الاستعمار البريطانى والسراي، وهو ما أدى إلى هزيمة ١٩٦٧ المروعة، التى مازلنا نعانى منها حتى الآن.
وعلينا أن نكافح، ليس فقط لاستعادة ذلك الجزء من الحريات، الذى كان الشعب قد حصل عليه قبل ١٩٥٢ بل وأيضاً لاستكمال تلك الحريات.

وتحقيق الحريات السياسية كاملة للشعب يتطلب:-
١ - حرية تكوين الأحزاب دون قيد أو شرط، وإلغاء قانون الأحزاب الحالى باعتبار أن حق تكوين الأحزاب هو جوهر الحريات السياسية وهو حق أصيل للشعب المصري.
٢ - حرية الصحافة وتعني: حق الجميع أفراداً وجماعات فى إصدار صحفهم وبياناتهم ونشراتهم دون قيد أو شرط، مالياً كان أو غير مالي، ودون الحصول على ترخيص مسبق، على أن يحكم القانون العادى العلاقات بين الصحف والحكومة والأفراد.
٣ - حرية العقيدة الدينية.
٤ - حق الاجتماع العلنى والتظاهر السلمى والإضراب السلمي.
٥ - تعديل الدستور وخاصة في:
(أ) حق مجلس الشعب وحده فى تعيين، وتغيير، ومحاسبة الوزراء ورئيسهم.
(ب) حق مجلس الشعب وحده فى إقرار أو رفض أو تعديل الميزانية
(جـ) انتخاب رئيس الجمهورية من بين عدة مرشحين انتخاباً ديمقراطيا، وإلغاء سلطاته الاستثنائية.
٦ - حق إنشاء النقابات دون تدخل إدارى أو بوليسي ، وإلغاء حق الاعتراض الذى تمارسه أجهزة القمع المختلفة (المباحث العامة، المخابرات.. إلخ) متخفية خلف المدعى الاشتراكي.

٧ – حق الطلاب فى إنشاء اتحاداتهم الطلابية وممارسة أنشطتهم السياسية والثقافية والاجتماعية، بحرية كاملة، دون تدخل إدارى أو بوليسي.

٨ – إلغاء جميع القوانين سيئة السمعة المقيدة والمعادية لمصالح شعبنا فهى العقبة الحقيقية أمام تقدم شعبنا ورقيه.

(قانون الطوارئ – قانون الأحزاب – قانون الانتخاب – قانون حماية الجبهة الداخلية – قانون الوحدة الوطنية – قانون المدعى الاشتراكى .. إلخ إلخ).

٩ –

(أ) إلغاء قانون الانتخاب الحالى المعادى للشعب، والعودة إلى نظام الانتخاب الفردي.

(ب) تعديل قوانين الانتخاب القديمة، بما يكفل لكل مصر، ذكرا كان أم أنثي، الحق فى أن ينتخب وينتخب، دون أن يقدم طلباً خاصاً بقيده فى جدول الانتخابات، وذلك متى بلغ سن الرشد (٢١ سنة) ودون أى تفرقة (إلغاء بدعة الـ ٥٠٪ عمال وفلاحين).

١٠ – إلغاء نظام الاستفتاء.

١١ – توحيد القضاء.

أ – إلغاء نظام المدعى الاشتراكي.

ب– إلغاء محاكم أمن الدولة والمحاكم العسكرية على أن يحاكم جميع الأفراد أمام المحاكم الدينية.

جـ – الإفراج عن جميع المسجونين فى جرائم الرأى والمسجونين السياسيين جميعاً فى غير جرائم القتل أو التخريب.

١٢ – تعديل وتحسين أنظمة السجون وتبعيتها إلى وزارة العدل، ووقف التعذيب وتشديد العقوبة على من يقومون به وحق كل فرد فى مقاضاة من يرتكب جريمة التعذيب.

نحو تحقيق رفاهية الشعب

إذا ما نجح شعبنا فى تحقيق حرياته السياسية وبناء مؤسساته التمثيلية السياسية

على آسس ديمقراطية وبحرية كاملة، دون تزوير أو تزييف، فأنه يمكن حينئذ العمل على تحقيق: –

(أ) ثقافة وطنية ديمقراطية

١ – وقف التطبيع الثقافى معه إسرائيل ونبذ الثقافة الاستعمارية الأمريكية.

٢ – تقديم جميع التسهيلات للكتاب والفنانين والعلماء حتى تزدهر وتزكو ملكاتهم الإبداعية الخلاقة فى خدمة الشعب وحتى يمكن نشر الثقافة على أوسع نطاق وحتى يمكن محو وصمة وعار الأمية.

٣ – توحيد التعليم والارتفاع بمستواه؛ وحل مشاكل المعلم للقضاء على مشكلة الدروس الخصوصية بما يحقق فعلاً لا قولاً مجانية التعليم

٤ – تغذية الطلاب التلاميذ بما يصون صحتهم ويمكنهم من الاستفادة الحقة من معاهد العلم.

(ب) بناء اقتصاد وطنى مستقل

تغيير الأسس الخاطئة التى يسير عليها اقتصادنا الذى يعتمد على القروض الأجنبية وصندوق النقد الدولي، وهى السياسة التى أدت إلى الأزمة الاقتصادية المتفاقمة وإلى زيادة معاناة وإفقار الشعب.

والبديل الوطنى السليم هو بناء اقتصاد وطنى مستقل يعتمد على مواردنا الذاتية ويهدف إلى تحسين الظروف المعيشية للطبقات الكادحة وإلى القضاء على الأزمة الاقتصادية المتفاقمة وذلك طبقاً للمبدأين التاليين:

أ– مشاركة عادلة لجميع طبقات الشعب فى تحمل أعباء معركتى البناء والتحرير

ب – رفع مستوى معيشة الجماهير الكادحة وتخفيف أعباء محدودى الدخل.

وذلك يقتضي:

١ – تغيير السياسة الزراعية الخاطئة التى أدت إلى هجرة الفلاحين للأرض الزراعية وتدهورها، وتغييرها إلى سياسة سليمة تراعى مصلحة الفلاحين ، وتعود

بالقرية إلى دورها الإنتاجى الأساسى كما كانت فى خدمة الاقتصاد الوطني.

٢ – التوقف عن تدمير الأرض الزراعية وتبويرها والتوقف عن ردم الترع

٣ – خماية الصناعة الوطنية من المنافسة الأجنبية

٤ – ربط الأجور بالأسعار وإيقاف موجة ارتفاع الأسعار والغلاء

٥ – حل مشكلة الديون الأجنبية بما لا يحمل الشعب أعباء هذه الجريمة

٦ – تصفية كل المصالح الاستعمارية الأمريكية التى تدمر اقتصاد الوطن.

جـ – مشكلة الإسكان

العمل على حل مشكلة الإسكان حلا حقيقياً وإنهاء سياسة تسكين الخيام والقبور.

د – الخدمات الصحية

تحسين وتطوير الخدمات الصحية المجانية للتخفيف عن كاهل الكادحين

د – الأمومة والطفولة

رعاية الأمومة والطفولة ومنع تشغيل الأحداث

إن مشكلة مصر هى مشكلة سياسية فالسياسة السليمة لابد أن تؤدى إلى اقتصاد سليم مزدهر. بينما تدمر السياسة الخاطئة كل مجهودات الشعب وتبعثر جهوده هباء فى الرياح.

فلنعمل معاً على تحقيق الحريات السياسية. حتى تستطيع جميع القوى السياسية فى مصر أن تساهم فى إدارة شئون البلاد.

فلن تستطيع قلة احتكرت السلطة السياسية لأكثر من ثلث قرن. وحرمت كل القوى الأخرى من أى مشاركة فى إدارة شئون البلاد فأدت سياستها الخاطئة الخرقاء إلى كل المآسى التى يعانى منها شعبنا الآن، من تضخم للديون والأزمة الاقتصادية والغلاء الطاحن ومأساة الإسكان والصحة والعلاج والتعليم، والمشاكل الاجتماعية والأخلاقية المترتبة على كل هذه المآسى – لن تستطيع هذه القلة المحتكرة لسلطة الحكم طوال هذه العقود أن تحل مشاكلنا.

والتجربة خير دليل فهل يريدون أن تستمر سياساتهم المدمرة أكثر من ذلك.



ليس أمام شعبنا من طريق لتحقيق أهدافه فى التحرر والرفاهية، إلا أن يحصل على حرياته السياسية كاملة، ليتمكن الجميع من المساهمة فى حل مشاكل الوطن.
فلنعمل جميعاً متحدين للحصول على الحريات السياسية للجميع لبينى معاً وطناً حراً سعيداً كريماً.

حول مبادرة الرئيس مبارك بتعديل الدستور

طاهر البدرى

نحيى المبادرة التى أعلن عنها الرئيس حسنى مبارك يوم السادس والعشرون من فبراير الماضى بتعديل المادة ٧٦ من الدستور، وتغيير طريقة اختيار رئيس الجمهورية بالانتخاب الحر المباشر بدلا من الاستفتاء.

إن هذا الموقف إن دل إنما يدل على أن الشعب المصرى قد نجح أخيراً وبعد معاناة طويلة فى البدء فى مرحلة أولى من مراحل الديمقراطية والتى حرم منها لسنوات طويلة تحت وطأة حكم الديكتاتورية العسكرية منذ يوليو ١٩٥٢ حتى الآن.

ونحن على ثقة أن السير فى هذا الطريق لتحقيق الديمقراطية الكاملة لهو مطلب شعبى ووطنى وليس ضغطا خارجيا أمريكيا فأمريكا هى راعية الديكتاتورية فى العالم أجمع، وهى أيضاً راعية الإرهاب التى تعلن محاربته، والدليل على ذلك الجرائم البشعة التى ترتكبها فى العراق وأفغانستان ومساندتها سياسيا وعسكرياً واقتصاديا لأداتها الاستعمارية الصهيونية «إسرائيل» فى كل الجرائم البشعة التى ترتكبها فى حق الشعب الفلسطينى ونحن فى هذا الصدد نطالب بضرورة تعديل الدستور بشكل لا يسمح لبطانة النظام أن تتلاعب فى هذا

التعديل والالتفاف حوله لتفريغه من محتواه الديمقراطى ويتطلب ذلك الآتى:
أولا: أن يتخلى الرئيس مبارك عن رئاسته للحزب الوطني.
ثانياً: إلغاء حالة الطوارئ وجميع القوانين المقيدة للحريات.
ثالثاً: إلغاء محاكم أمن الدولة والإفراج عن جميع المسجونين فى قضايا الرأى ومحاكمة الجميع أمام المحاكم المدنية.
رابعاً: إطلاق حرية تكوين الأحزاب والصحف دون قيد أو شرط.
خامساً: تعديل قانون الانتخاب بشكل يكفل لكل الأفراد الحق فى انتخاب من يمثلهم وإلغاء بدعة الخمسين بالمائة عمال وفلاحين.
سادسا: الإشراف القضائى (المحايد) على الانتخابات ومنع التدخل الإدارى والبوليسى فيها.
سابعا: حق الاجتماع العلنى والتظاهر السلمى والإضراب السلمى.
إن تحقيق هذه الحريات وحصول شعبنا على حقوقه السياسية التى انتزعت منه بمعرفة الديكتاتورية العسكرية ستمكننا من تشييد الجبهة الوطنية الديمقراطية، التى ستمكننا بالتضامن مع الشعوب العربية وشعوب العالم من إحراز الانتصار النهائى على العدو الأمريكى الصهيونى ولكى يتحقق ذلك عملياً نطالب أيضاً بالآتى:

- وقف جميع أشكال التطبيع مع الكيان العنصرى الصهيونى «إسرائيل» وإلغاء اتفاقية «كامب ديفيد».
- سحب الاعتراف بإسرائيل وجميع قرارات الأمم المتحدة التى تعترف بهذا الكيان العنصرى الصهيونى بدءاً من قرار التقسيم عام ١٩٤٧ وكذا القرار ٢٤٢ إلى أخر كل القرارات بخصوص هذا الشأن.
- إلغاء جميع التسهيلات الممنوحة لأمريكا وعدم الاشتراك معها فى أى تدريبات عسكرية.



إن تحقيق هذه الأهداف الديمقراطية الوطنية سوف يمهد الطريق لخلق جبهة وطنية ديمقراطية قوية ومن ثم جبهة عربية متماسكة قادرة على هزيمة الاستعمار الأمريكى والقضاء على أداته العنصرية العدوانية «إسرائيل».

والنصر لشعبنا المصرى وشعوبنا العربية والإنسانية جمعاء.

ملف

التعذيب لن يوقف مسيرة الديمقراطية فى مصر

طاهر البدري

تحية إلى الرجال الشرفاء فى سجون الحكم المطلق ، تحية لهم وهم ضمير شعبنا وروحه وصوته الذى يدوى فى الآفاق رغم الأسوار والقضبان. تحية لهم وهم يؤكدون أن شعبنا حى لا يموت وأنه قادر رغم الإرهاب والقتل والتعذيب الذى تعرض له عمال الحديد والصلب من قبلهم ومن بعدهم جميع القوى السياسية من شيوعيين ووفديين وإخوان مسلمين وغيرهم.. يؤكدون أن شعبنا قادر على أن يواصل مسيرته لتحقيق الديمقراطية.

وتحية لجميع من ساهم فى الوقوف إلى جانبهم وإلى جانب شعبنا وهم قطعة من لحمه ودمه - تحية إلى الوفد ورئيسه الذى قاد حملة الدفاع عن عمال الحديد والصلب ويقود اليوم الدفاع عن ضحايا الإرهاب الحكومى من مختلف القوى السياسية من شيوعيين إلى إخوان وغيرهم.

تحية إلى الكتاب الشرفاء فى الوفد، والشعب والأهالى وإلى نقابة المحامين والصحفيين ونقيبهم الذين نؤكد لهم أن شعبنا سيذكر لهم كل موقف شريف إلى جانبه.

تقول الحكومة إنها قامت باعتقال بعض المواطنين الشيوعيين وسبقتهم ولنلهم حملات أخرى على قوى سياسية أخرى بدعوى وجود منشورات

لديهم تحدى الناس على كراهية النظام والازدراء به، وكأن هذه المشهيات أسلحة سريعة الطلقات ضد النظام مع أن أعمال الحكومة وتصرفات المسئولين بالدولة هى التى تؤدى إلى كراهية النظام، كذلك يقولون إن هؤلاء يكونون تنظيما سريا مسئولا عن أحداث الحديد والصلب.

وعلى الحكومة أن تعلم أن أحداث الحديد والصلب هى من أجل مطالب عادلة لرفع مستوى معيشة العاملين بزيادة حوافزهم ، حيث إن الأجور أصبحت لا تفى بضرورات الحياة لارتفاع معدلات التضخم، خصوصا بعد خضوع الحكومة لمطالب البنك الدولى من رفع أسعار السلع والخدمات.

واعتقال هذه المجموعة من أجل إرهاب المواطنين من أجل منع التضامن مع عمال الحديد والصلب المعتقلين حتى تنفرد بهم السلطة البوليسية وتوقع عليهم أشد وأقصى العذاب حتى يكونوا أمثولة أمام أى شخص يفكر بأن يرفع صوته للمطالبة بحقه.

أن هذه الإجراءات لن تفيد لأن الظروف التى يعيشها الناس اليوم أصبحت غير مقعولة أو مقبولة. كما أن وعى الناس وخبرتهم قد ارتفعت وازدادت بسبب تجاريهم ومعاناتهم.

إن الخضوع لمطالب البنك الدولى وإرهاب الشعب للقبول بهذا الخضوع لن يحل مشاكل لا الشعب ولا الحكومة فالشعب لن يرضى بهذه الإجراءات الظالمة التى تضاعف من أحواله السيئة أصلا التى تؤدى إلى مزيد من الإفقار ومزيد من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية ومزيد من العجز عن مواجهة أمريكا وإسرائيل اللذين هما سبب كل الكوارث الاقتصادية.

والحكومة لا تريد أن تفهم أن الحل الوحيد والسليم هو الديمقراطية لكى تبنى بلادنا على أسس سياسية واقتصادية سليمة، لكى تتوحد جميع الجهود الوطنية فى إطار جبهة وطنية ديمقراطية هى وحدها القادرة على حل مشاكل الشعب الوطنية والاقتصادية.

يا أنصار الحكم المطلق كفاكم تسلطا وتجبرا وإهدارا لحق الشعب فى أن يختار

ممثليه بحرية فى انتخابات حرة طبقا لدستور بمثابة حتى يمكن تخليص مصرنا العزيزة من المهالك التى تواجهها.

أما إذا ظننتم ان شعبنا سيظل إلى الابد يقبل بالأساليب الديكتاتورية والحكم المطلق فإنكم واهمون وتدفعون الوطن إلى كارثة نرجو أن تتنبهوا لها قبل ان يفوت الأوان وتتحملوا وزرها

وكما قال الدكتور/ محمد السيد أحمد سعيد لوكيل النيابة أثناء التحقيق معه بعد تعذيبه «**أحب أن أؤكد أن التعذيب لن يوقف مسيرة الديمقراطية في مصر**» كان هذا أخر أقواله ونؤكد له ولجميع المسجونين الشرفاء فى تلك القضية وغيرها من القضايا السياسية فى مصر، نعم إن التعذيب لن يوقف مسيرة الديمقراطية فى مصر.

فلنعمل علي:

١ – الإفراج عن جميع المسجونين والمعتقلين السياسيين وعمال الحديد والصلب

٢ – وقف التعذيب الذى يتعرض له أى إنسان فى مصر أيا كانت قضيته.

٣ – تعويض من أضير فى هذه القضايا سواء عذب أو استشهد.

٤ – وقف سياسة القمع التى يتعرض لها شعبنا سواء من العمال أو المثقفين فى المصانع أو القرى بين الحين والحين من قوات الأمن المركزى وتوجيه هذه القوى تجاه أعداء شعبنا فى إسرائيل التى يعايرنا شامير بمهمتها اللاإنسانية تجاه أبناء وطننا.

٥ – محاسبة المسئولين عن هذه الإعتداءات على الشعب.

هذه هى المطالبة العاجلة التى تواجه جميع القوى السياسية الوطنية الشريفة فى مصر، ولكن هذه المطالب حتى ولو تحققت ستظل دائمة عرضة للانتكاس ما لم يحصل الشعب على حرياته الأساسية وهى حقة في التعبير والتنظيم، أحزاب بلا قيود وصحافة حرة بلا شروط، وحق الإضراب والتظاهر والاجتماع السلمى وإلغاء الأحكام العرفية ومحاكم ونيابات امن الدولة إلخ من الحريات الأساسية للشعب

لقد كتبنا فى ختام مقالنا عن التعذيب فى العدد السادس من «الحقيقة» الصادر فى أغسطس ١٩٨٥ تقول:

«إن التعذيب وعلى هذا المستوى من الفظاعة والوحشية لا يوجد إلا في البلاد ذات الأنظمة الدكتاتورية أو البلاد التابعة والمستعمرة. وهو يؤدى دائماً إلى تخلف البلاد التى تنكب به عن نظائرها تخلفا هائلا. خذ مثلا البرتغال على عهد سالازار واليونان على عهد دكتاتورية الضابط.

فهذا البلدان هما أكثر البلدان الأوربية تخلفا. كذلك الفلبين ودول أمريكا اللاتينية..إلخ إلخ.

وينتهى التعذيب **دائما وحتما** إلى الثورة على الطغاة والمستبدين والقضاء عليهم.

والهدف الوحيد من التعذيب مهما لابسه من مظاهر أخري، هو إرهاب الشعب وتقبيده ومنعه من التقدم لحل مشاكله التى تزداد تفاقما في عهود الإرهاب. وفى حالة وطننا مصر، إعاقة الشعب عن التصدى للمستعمرين الأمريكان وأداتهم إسرائيل، بالإضافة إلى إبقاء حالة التخلف والفقر التى يعانيها.

فطالما ظل شعبنا غير قادر، بسبب الحكم المطلق، على محاسبة حكامه وفرض إرادته عليهم فسيظل عاجزا عن التقدم فى أى من المجالين الوطنى أو الداخلي.

الحريات السياسية وإنهاء الحكم المطلق هى وحدها السبيل لمنع أى تعذيب فى المستقبل، مثلما هى المانع من الجرائم الأخرى التى يضج منها شعبنا المكافح. إنها وحدها التى تفتح الطريق أمام تقدم شعبنا ورفاهيته وازدهاره».

ملف

الصراع العربى الإسرائيلي

.. هوامش تاريخية

عيد عبد الحليم

اختار طاهر البدرى عنوان «القدس بداية النهاية لدولة إسرائيل» لكتابه الصادر عن دار ميريت للنشر والتوزيع والذى وضع فيه رؤيته للصراع العربى - الإسرائيلي، وغيرها من القضايا السياسية ذات الشأن الداخلي.

ورغم أن كثيراً من فصول الكتابة قد نشرت فى النشرة التى كان يصدرها البدرى فى الثمانينيات تحت عنوان «الحقيقة» إلا أنه أضاف أيضاً بعض المقالات التى تتوافق مع الراهن السياسي، وليس أدل على ذلك من أن أول مقالة فى الكتاب تتحدث عن «اتفاقية أوسلو» والتى يبدأها بعبارة بالغة الدلالة تحدد آلية الصراع الحقيقية وهى لشيمون بيريز «إن اتفاق أوسلو هو الانتصار الثانى للصهيونية بعد نجاح هذه الحركة فى تأسيس دولتها».

ويرى البدرى أن غزو العراق للكويت وتأييد عرفات لموقف صدام حسين كان الخطوة الأساسية التى رتبتها أمريكا مع عملائها لضرب الفلسطينيين، ووقف الانتفاضة الفلسطينية، وعقد اتفاقية أوسلو والتى يصفها البدرى بـ «المشينة» ص٩.

جذور تاريخية

ويعود البدرى إلى بعض الجذور التاريخية للأزمة بداية من قرار الكنيست الإسرائيلى بضم القدس الشرقية واعتبار القدس بكاملها عاصمة أبدية لإسرائيل، ويعتبر المؤلف أن هذا القرار دليل مادى على أفلاس سياسة الحل السلمي، والذى بات واضحا أنه أشبه بالتنازل وهذا ما فعلته «سلطة يوليو» التى تبنت الحل السلمى منذ قبلت بالقرار ٢٤٢، وهو القرار الذى أقر مبدأ الاعتراف بإسرائيل بدعوى أن هذا الاعتراف سيكون مقابل انسحابها من الأراضى التى احتلت عام ١٩٦٧، ولعل ذلك كان بداية الحصاد المر، والذى نعانى منه الآن، أو على حد تعبير «البدرى» أنه حصاد سياسة تقييد أيدى وأرجل الشعوب العربية، ومنعها من الكفاح للحصول على حقوقها فى التحرر والديمقراطية والسلام» ص١٥.

السياسة المصرية

وفى دراسة تحت عنوان «واقع القوى السياسية فى مصر» يقدم طاهر البدرى قراءة جادة معايشة للأحداث السياسية فى مصر خاصة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى الآن، مقدما رؤية خاصة حول التيارات السياسية ومنها الماركسية، والتى يرى أن افتقاد الأصالة فى تطبيق منهجها لدى الكثير من الماركسيين المصريين تسبب فى تشويه الفكرة وأدى إلى «نتائج خاطئة فيما يتعلق بالأوضاع الطبقية فى مصر، وبالسياسات الواجب اتباعها لتطوير المجتمع المصري» ص٦٤.

ويرى البدرى أن السلطة القائمة فى مصر قبل ٢٣ يوليو وبعدها هى «سلطة البرجوازية» القائمة على الانفراد بكل شيء حتى فى لحظات الصراع، وقد وضح ذلك من استبعاد اشتراك الجماهير الشعبية وممثلى الطبقات الكادحة، إلا فى فترات قليلة منها فى بداية الثورة – خاصة فى عامها الأول – ثم فى – أيام العدوان الثلاثى ١٩٥٦.

أما الشيوعية فيأخذ البدرى عليها أنها لا تدخل فى تحالفات لصالح الشعب، وعليها إذا أرادت النجاح أن تسعى لخلق تحالفات تخدم أهداف الشعب.

كما تعرض البدرى للأحزاب المصرية كالوفد والتجمع والناصرى وغيرها من



القضايا التى تثير كثيرا من الجدل والنقاش وبحاجة فعلية للقراءة مرة أخري.

وبعد:

فالكتاب عبارة عن رؤى وشذرات تاريخية لمثقف مصرى عاش مشاركاً فى الأحداث على مدار أكثر من ستين عاما، لذا جاءت مليئة بالحيوية والطزاجة وكأنها تحدث أمام أعيننا.

الديوان الصغير

نبى اللغة: أبو العلاء فى اللزوميات

تشريح الدين وتعرية رجاله

اختيار وتقديم: د. حسن طلب

نعم هو نبي، واللغة هى معجزته! ولعل «ابن درستويه النحوى» - توفى عام ٣٤٧هـ - حين أطلق عبارته الدالة، التى رأى فيها أن كلام العرب لا يدركه جميعه إلا نبى، لم يكن يتصور أن هذا النبى قد آذنت شمسه بشروق، فإن هى إلا بضعة عشر عاما على وفاة «ابن درستويه»، حتى ولد النبى المنتظر «أبو العلاء المعرى» عام ٣٦٣هـ، بعد نبوة أخرى جاء لها فى صباه سلفة «أبو الطيب المتنبى»، ولم يأخذها أحد مأخذ الجد، ولا حتى صاحبها نفسه.

لم يكن «المعرى» - ومن قبله «أبو الطيب» - مجدفين يدعيان شيئاً غريبا عن المألوف ، بقدر ما كانا تجسيدا ثقافيا وأدبيا لروح عصرهما التى بلغت فيها الروح العقلانية النقدية أوج النضج وسوف يكون عليها أن تتراجع بعد القرن الخامس الهجرى - قرن أبى العلاء - لكى تخيم على الثقافة العربية الإسلامية عصور الظلام لقرون طوال، حتى مطلع العصر الحديث.

لم يكد ينجو شىء من هذه الروح العقلانية، فأصبحت المقدسات الدينية موضوعا للبحث والدرس والنقد، بعد أن كانت مجرد موضوع للإيمان والتسليم المطلق، وهكذا رأينا «النظام»، ينظر من

زاوية نقدية إلى مفهوم (الإعجاز القرآنى)، ليخلص إلى أن القرآن ليس معجزا بألفاظه وعباراته، ففصحاء العرب يستطيعون أن يأتوا بمثله ..، وإنما هو معجز أفكاره وشمول معانيه، والذين يصرون على الإعجاز اللغوى يقعون فى خطأ كبير، لأنهم بهذا الإصرار يجعلون أى رسالة دينية موقوفة على العرب وحدهم، وإلا فما معنى أن تتحدى أحداً لا يعرف العربية، بأن يأتى بشىء من القرآن؟!
وفى هذا الإطار، أصبح مصطلح القرآن جاريا على ألسن الأدباء وأهل الثقافة، ليصفوا به آيات الفن والإبداع الإنساني، فهذا هو «معبد» يصف كلام «ابن سريج» عن الغناء، بأنه (قرآن الغناء، ومثله فعل كثيرون، ويكفى أن نشير إلى ما قام به «ابن الراوندى» حين وجه نقده الجذرى للقرآن وللرسالة الإسلامية كلها فقد رأى أن ما جاء به «محمد»، إما أن يكون غير موافق للعقل، فلا تكون لنا حاجة به لهذا السبب، أو أن يكون موافقا له، فنحن أيضا لا نحتاج إليه، لأن لدينا العقل نفسه.
لقد أصبح مفهوم (النبوة) فى هذا السياق، خاضعا لتلك الرؤية الفلسفية العقلانية التى ترفع عنه هالة القداسة، بل لقد كان هناك حديث نبوى منقول عن «الترمذي» ينص على أن لله عباداً ليسوا بأنبياء، ولكن يغبطهم النبيون والشهداء لقرب مكانتهم من الله. وفى هذا الإطار سادت بين الأدباء نظرة تعتبر أن رواة الشعر أعقل من رواة الحديث وصارت السخرية من العنعنة فى سلسلة الإسناد أمرا شائعا بل لقد تساءل الشعراء عن السبب المزعوم فى تميز الأنبياء، يقول معاصر «المعرى» الشاعر «ابن الشبل البغدادى» – توفى ٤٧٤هـ متسائلا فى غير قليل من الريبة:

قبح الله لذة لأذانا — نالها الأمهات والآباء
ليس شعرى ، وللبلى كل ذا الخلق — : بماذا تميز الأنبياء!

ونحن فى هذا السياق لا نستغرب ما رواه صاحب «سرح العيون» ، من أن المعرى كان يخرج كما فعل «موسي» ليكلم الله، فيقول : كلمنى فأنا أفصح من موسي، وحين لا يجد جوابا، يرجع أدراجه وهو يردد بيت «عمرو بن معدى كرب»:

لقد أسمعت لو ناديت حيا — ولكن لا حياة لمن تنادى!



بل إننا نستطيع أن نلاحظ، كيف أن «المعرى» فى أعماله النثرية يعرض للنبوة، فيجردها من هالة القداسة ليعيدها إلى أصلها اللغوى الذى يشير إلى السمو أو العلو.، على نحو ما نجد فى «رسالة الغفران».

وإذا كانت النبوة هى السمو، فمن الذى بوسعه أن يطاول «المعرى» فى ميدان اللغة والأدب؟! لقد روى صاحب (وفيات الأعيان)، كيف أن أحد الذين أطلعوا على الجزء الواحد بعد المائة من كتاب «المعرى) الضائع: (الهمزة والردف) قد انتابه الذهول متسائلا: لست أدرى ما الذى كان يعوز «المعرى» بعد هذا؟!

لقد كان ما يعوزه هو هذا الإحساس الطاغى بأنه يريد أن يمارس نبوته ولولا هذا الإحساس لما جرؤ على أن يتصدى للقضايا المحفوفة بالمخاطر، فيحلل الدين ويرفض ما فيه من عناصر غيبية خرافية، لكى لا يتبقى فى النهاية سوى ما يصمد منه أمام نور العقل: أما رجال الدين وأبناء عمومتهم رجال السياسة، فهو يعريهم ويكشف تدليسهم كما لم يفعل أحد قبله وربما بعدها.

آباء .. وأدباء

أولو الفضل في أوطانهم غرباء | تشذ وتنأى عنهم القرباء

...

تواصل حبل النسل ما بين «آدم» | وبيني، ولم توصل بلامي باء(!)
تشاءب عمرو إذ تثاءب خالد | بعدوى، فما أعدتني الثوباء
وزهدني في الخلق معرفتي بهم | وعلمي بأن العالمين هباء

...

على الولد يجني والد ولونهم | ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعداً من بنيك، وزادهم | عليك حقوداً، أنهم بخباء
يرون أبا ألقاهم في مؤرب | من العقد، ضلت حله الأرباء (٢)
وما أدب الأقوام في كل بلدة | إلى المين، إلا معشر أدباء!

دفاع عن «المعرة»

يعبرنا لفظ «المعرة» أنها | من العُرِّ، قوم في العلا غرباء
فإن إباء الليث ما حل أنفه | بأن محلات الليوث أباء(٣)
وهل لحق التثريب سكان «يثرب» | من الناس، لا بل في الرجال غباء!

و«ذو نجب» إن كان ما قيل صادقا فما فيه إلا معشر نجباء (٤)
هل الدين إلا كاعب، دون وصلها حجاب، وقهر معوز، وحباء؟!(٥)
وما قبلت نفسي من الخير لفظة وإن طال ما فاهت به الخطباء

دين العالمين رياء

أرائيك، فليغفره لي الله زلتي بذاك ، ودين العالمين رئاء
وقد يخلف الإنسان ظن عشيره وإن راق منه منظر ورواء (٦)
إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده بنصح، فإنا منهم برآء

نار الشبيبة

إن الشبيبة نار، إن أردت بها أمراً فبادره، إن الدهر مطفئها
أصاب جمري قر، فانتبهت له والنار تدفئ ضيفي حين أدفئها(٧)
ألقي عليها جليس في الدجي فقام عنها بأثواب يرفئها(٨)

ليس هناك أولياء

قد حجب النور والضياء وإنما ديننا رياء!
... ...
يا عالم السوء ما علمنا أن مصليك أتقياء
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيك لله أولياء
ويا بلاداً مشي عليها أولو افتقار وأغنياء
إذا قضي الله بالمخازي فكل أهليك أشقياء
كم وعظ الواعظون منا وقام في الأرض أنبياء!
فانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء
حكم جري للمليك فينا ونحن في الأصل أغبياء!

أين أصحاب الدين

ومالي لا أكون وصي نفسي ... ولا تعصي أموري الأوصياء!
وقد فتشت عن أصحاب دين ... لهم نسك وليس لهم رياء
فألفيت البهائم: لا عقول ... تقيم لها الدليل ولا ضياء!
وإخوان الفطانة في احتيال ... كأنهم لقوم أنبياء!
فأما هؤلاء فأهل مكر ... وأما الأولون فأغبياء
فإن كان التقي بها وعياً ... فأعيار المذلة أتقياء (٩)

أمراء.. وشعراء

مل المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤها
فرقاً شعرت بأنها لا تقتني ... خيراً، وأن شرارها شعراؤها

... ...

ووجدت دنيانا تشابه طامثاً ... لا تستقيم لناكح أقراؤها!
هويت ولم تسعف، وراح غنيها ... تعباً، وفاز براحة فقراؤها
وتجادلت فقهاؤها من حبها ... وتقرأت - لتنالها - قراؤها
وإذا زجرت النفس عن شغف بها ... فكأن زجر غويها إغراؤها!

أفيقوا يا غواة

إذا كان علم الناس ليس بنافع ... ولا دافع، فالخسر للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن ... فتم، وضاعت حكمة الحكماء!
وهل يأبق الإنسان من ملك ربه ... فيخرج من أرض له وسماء؟! (١٠)

... ...

وقــد بان أن الـنحس ليس بغــافل ... له عــمـل في أنجم الفـــهـــمـــاء

...

أفـيـقـوا أفـيـقـوا يا غـواة، فـإنما ... ديانتكم مكر من القـــــدمـــــاء
أرادوا بها جمع الحطام، فأدركوا ... وبادوا، ومـــاتت سنة اللؤمـــاء

لا إمام إلا العقل

يرتجي الناس أن يقـــوم إمـــام ... ناطق في الكتـيـبـة الخـرسـاء
كـذب الظن، لا إمـام سـوي العـقل ... مـشـيـراً في صـبـحـه والمساء
فـإذا مـا أطـعـتـه جلب الرحـمـة ... عند المســيـــر والإرســـاء
إنمـا هـذه المذاهـب أســـبـــا ... ب، لجلب الدنيـا إلي الرؤســاء

الشر في مكة

أقــيــمى، لا أعــد الحـج فــرضـا ... علي عـجـز النسـاء ولا العـذاري
فــفي بطحــاء «مكة» شـــر قــوم ... وليـسـوا بالحـمـاة ولا الغـيـاري
وإن رجـال «شـيـبـة» سـادنيـهـا ... إذا راحت لكعبتها الجمارى(١١)
قـيـام يدفـعـون الوفـد شـفـعـاً ... إلي البـيت الحـرام، وهم سكاري
إذا أخـــذوا الزوائف أولجـــوهم ... ولو كانوا اليهود أو النصارى(١٢)

...

ومـــا أدري أمن فـــوق المهـــاري ... ألب - إذا نظرت - أم المهـــارى؟!
وظنوا الطهـر مـــتـــصـــلاً بقــوم ... وأقـــسم أنهم غـــيـــر الطهـــاري

الجاهل الآهل

هـو الشـــر قـــد عم في العـــالمين ... أهـــل الـــوهـــود وأهـــل الـــذري
ليـــفنن في صـــمـــتـــه ناسك ... إذا افتن فـــيـــمـــا يقـــول الوري

فكنوا صبوحية الشرب «أم ليلى»، «مكة» أم القري
وقالوا بد (المشتري) في الظلام فياليت شعري ماذا اشترى؟!

...

ونومي موت قريب النشور وموتي نوم طويل الكري
سواء علي إذا ما هلكت من شاد مكرمتي أو زري
فهل قام من جدث ميت فيخبر عن مسمع أو مرى؟!
ولو هب صدقه معشر وقال أناس: طغى وافتري

...

فلا تدن من جاهل أهل لو انتزعت خمسة ما دري!

...

نزول كما زال أجدادنا ويبقي الزمان علي ما نري
نهار يضيء .. وليل يجئ ونجم يغور.. ونجم يري

فخار .. من الفخر

لعل أناساً في المحاريب خوفوا بآي، كناس في المشارب أطربوا
إذا.رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً إلي الله أقرب
فلا يمس فخاراً – من الفخر – عائد إلي عنصر الفخار للنفع يضرب
لعل إناء منه يصنع مرة فيأكل فيه من أراد ويشرب
ويحمل من أرض لأخرى، وما دري فواهاً له بعد البلي يتغرب!

إيمان.. وإباحية

أقروا بالإله وأثبتوه وقالوا: لا نبي ولا كتاب!
ووطء بناتنا حل مباح رويدكم، فقد بطل العتاب
تمادوا في العتاب ولم يتوبوا ولو سمعوا صليل السيف تابوا!

صور في الهواء

علم الإمــــام، ولا أقـــول بظنه   أن الدعــاة بســعـيـهـا تتكسب
هذا الهــواء يلوح فــيــه لناظر   صـــور، ولكن عن قــريب ترسب

دعاوي بلا حجة

إن عـــذب المين بأفـــواهكم   فــإن صـدقي بفـمي أعـذب (١٣)
طلبت للعـــالم تهـــذيبـــهم   والناس مــا صــفـــوا ولا هذبوا
ســـألت من خـــالف عن دينه   فـــأعـــوز المخـــبـــر لا يكذب
وأكـــثـــروا الدعـوي بلا حـجـة   كل إلـي حـــيـــزه يجـــذب!

إقرار بالجهل

من لـي ألا أقـــيم في بلـد   أذكـر فـيـه بغـيـر مـا يجب!
يظن بي اليـســر والديانة والعلم   وبيـنـي وبينهـــا حــجـب!
كل شـــهـــوري علي واحـــدة   لا «صـــفـــر» يتـــقـي ولا «رجب»
أقــررت بالجـهل، وادعي فــهــمي   قـــوم فـــأمــري وأمـــرهم عـجب!
والحـــق أنـــي وأنـــهـــم هـــدر   لست نجـــيـــبـــاً ولا هـم نجب

كلاب تعاوت

رأيت قـضــاء الله أوجب خلقـه   وعـاد عليـهم في تصـرفـه سلبـا!
وقـد غلب الأحـيـاء في كل وجـهـة   هواهم وإن كانوا غطارفة غلبا (١٤)
كـلاب تغـاوت أو تعـاوت لجـيـفـة   وأحسبني أصبحت ألأمها كلبا!

إبل جرباء

يقولون: هل تشهد (الجمع) التي رجونا بها عفواً من الله أو قربا؟!
وهل لي خير في الحضور؟ وإنما أزاحم – من أخيارهم – إبلا جربا
لعمري لقد شاهدت عجما كثيرة وعرباً، فلا عجماً حمدت ولا عربا!

رعب آمن.. وأمن مرعب

إذا كان رعبي يورث الأمن، فهو لي أسر من الأمن الذي يورث الرعبا!
ألم تر أن (الهاشميين) بلغوا عظام المساعي بعدما سكنوا الشعبا (١٥)
وإني رأيت الصعف يركب دائما. منّ الناس من لم يركب الغرض الصعبا

ارتقاء هضاب الفكر

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة من الفكر ، إلا وارتقيت هضابها
أقل الذي تجني الغواني تبرج يري العين منها حليها وخضابها
فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها وحاول رضاها وأحذرن غضابها
فكم بكرت تسقي الأمر حليلها – من الغار – إذ تسقي الخليل رضابها (١٦)

سؤال بلا جواب

الله لا ريب فيه، وهو محتجب بادٍ، وكل إلي طبع له جذبا

... ...

لا يعلم الشري ما ألقي مرارته إليه، والأري لم يشعر وإن عذبا(١٧)
سألتموني ، فأعيتني إجابتكم من ادعي أنه دارٍ، فقد كذبا

الدين هو الإنصاف

إن يصحب الروح عقلي بعد فطعنها للموت عني، فأجدر أن تري عجبا!
وإن مضت في الهواء الرحب هالكة هلاك جسمي في تربي فوا شجبا!
الدين إنصافك الأقوام كلهم وأي دين لآبي الحق إن وجبا؟!
والمرء يعييه قود النفس مصبحة للخير، وهو يقود العسكر اللجبا!

أفكار.. وخيالات

إذا تفكرت فكراً لا يمازجه فساد عقل صحيح، هان ما صعبا
فاللب إن صح أعطي النفس فترتها حتي تموت، وسمي جدها لعبا
وما الغواني الغوادي في ملاعبها إلا خيالات وقت، أشبهت لعبا!

عمود الدين

بالخلف قام عمود الدين: طائفة تبني الصروح، وأخري تحفر القلبا!(١٨)

جدهم لعب

الأمر أيسر مما أنت مضمره فاطرح أذاك، ويسر كل ما صعبا

... ...

إن جد عالمك الأرضي في نبأ يغشاهم، فتصور جدهم لعبا
ما الرأي عندك في ملك تدين له مصر، أيختار دون الراحة التعبا؟!

خط.. ونقطة

خل الزمان وأهليه لشأنهم وعش بدهرك والأقوام مرتابا
سار الشباب فلم نعرف له خبراً ولا رأينا خيالاً منه منتابا!

... ...

خط اســتــواء بدا عن نقطة عــجب   أفنت خطوطاً وأقــلامــاً وكــتــابا!

عليك بالبرهان

لـم يقــدر الله تهــذيبــا لـعــالمنا   فــلا ترومن لـلأقــوام تـهــذيبــا

ولا تصــدق بما البــرهان يبطله   فتستفيد من التـصـديق تكذيبا

إن عـذب الله أقـوامـاً باجـتـرامـهم   فـمـا يريد لأهل العــدل تعـذيبـا

كتب ينكرها الخيال

لو أنني ســمـيت طيـفك صــادقــاً   لدعــوته: غــضــبــان أو عــتــابا

قــال الخيــال: كـذبت لست بطارق   ليــــلاً، ولـم أك زائراً مـنتـــابا

فــأجــبــتــه: كم من كــتــاب زائر   فاهتــاج يحلف: مـا بعثت كتاباً!

لا تثـــبت الأقـــلام زلة راقـــدٍ   إن كنت بت بحلمـــه مـــرتابا

المؤنث يغلب

زعــمــوا أن مــا يذكــر إن قــا   رن أنثي، لم يعــدم التــغليــبــا

باطل ذاك، إن لبي إلي الدنيــــا   قــرين، ومـــايزال سليـــبـــا!

يا ساكن اللحد

إن يـقـــــــرب المـوت منـــى   فـلـست أكـــــــره قـــــربه

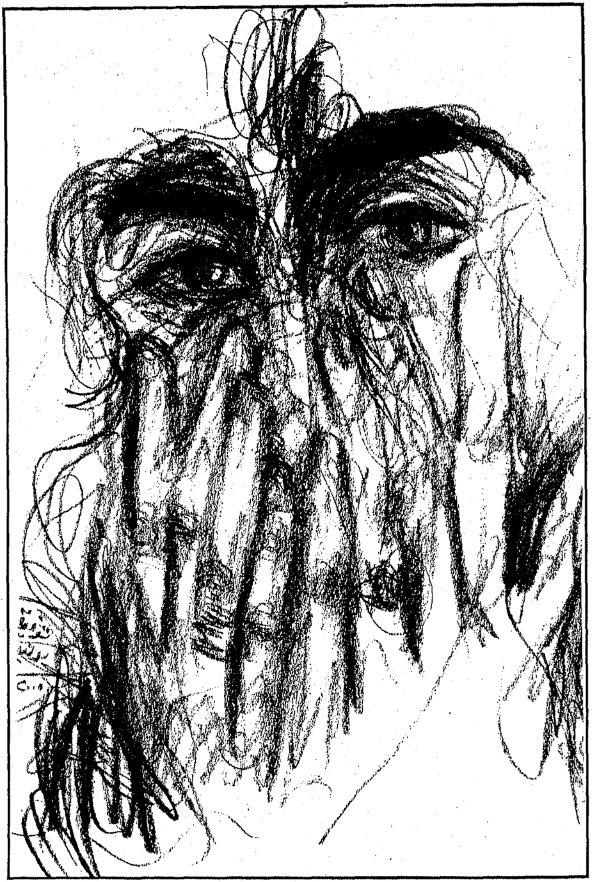
... ...

كل يـحـــــاذر حـــــتـــــفــــاً   ولـيس يعـــــدم شـــــربه

والـلـب حـــــارب فـــــيـنـا   طبـــــعـــــاً يكابد حـــربه

يا ســــاكن اللحـــد عـــرفني   الحـــــمـــــام وإربه(١٩)

ولا تـــضـــن فـــــــإنـي   مـــــــالـي بـذلك دربه!



بين حبو وحباء

حبا الشيخ لا طامعاً في النهوض ... نقـيض الصـبي إذا مـا حـبـا
ولم يحـبني أحـد نعـمـة ... ولكن مـولي الموالي حـبـا
نصـحـتك، فـاعـمل له دائمـاً ... وإن جـاء مـوت فـقل: مـرحـبـا

بين عقل وطبع

نهـاني عـقلي عن أمـور كـثـيـرة ... وطبـعي لهـا بالـغـريزة جـاذبي
ومما أدام الرزء تكذيب صـادق ... علي خـبرة منا، وتصـديق كـاذب!

عيون التجارب

لو اتبعوني – ويحـهم – لهن يتـهم ... إلـي الحق، أو نـهج لذاك مـقـارب
فـقـد عـشت حـتي ملني، وملّتـه ... زمـاني، وناجتني عيون التجـارب
إذا حـان وقـتي فـالمثـقف طاعني ... بـغـيـر مـعين، والمهند ضـاربي

فـمن لي بـأرض رحـبـة لا يجلهـا ... سوأي، تضـاهي دارة (المتقارب) (٢٠)
فـمـا للفـتي إلا انفـراد ووحـدة ... إذا هـو لـم يـرزق بـلـوغ المـآرب!
فـحـارب وسـالم إن أردت، فـإنما ... أخو السلم في الأيام مثل محـارب!

الركن والصليب

أري عـالما يرجـون عـفـو مليكهم ... بتـقـبـيل ركن واتخـاذ صـليب!
فـغـفـرانك اللـهم، هل أنا طارح ... بمكة – في وفـد – ثياب سليبي(٢١)

علم الغيوب

وجدتك أعطيت الشـجـاعة حـقـهـا ... غـداة لقـيت الموت غـيـر هـيـوب
إذا قـرن الظن المصـيب من الفـتي ... بتـجـربة، جـاءا بعلم غـيـوب

وإنك إن أهديت لي عيب واحد جدير - إلي غيري - بنقل عيوبي

طقوس وثنية

تلك اليهود، فهل عن هائد لهم؟ والصابئون ، وكل جاهل صابى(٢٢)

...

لم يثبتوا بقياس أصل دينهم فيحكموا بين رفاض ونصاب(٢٣)
ما الركن - في قول ناس لست أذكرهم - إلا بقية أوثان وأنصاب
لا استقيل زماني عثرة أبداً ما شاء فليأت إن الشهد كالصاب(٢٤)

خساسة الدين

فاسمع كلامي، وحاول أن تعيش به فسوف أعوز - بعد اليوم - طلابي
استغفر الله، واترك ما حكي لهم «أبو الهذيل» وما قال «ابن كلاب» (٢٥)
فالدين قد خس حتي صار أشرفه بازاً لبازين، أو كلباً لكلاب!
والظلم عندي قبيح لاأجوزه ولو أطعت لما فاءوا بأجلاب

...

لما رأيت سجايا العصر ترخصني رددت قدري إلي صبري فأغلي بي

حظ مشترك

الحظ لي ولأهل الأرض كلهم ألا يراني أخري الدهر أصحابي

وشقوة غشيت وجهي بنضرته أبر بي من نعيم جر إشجابي

كلام ملحون

استنبط العرب لفظاً، وانبري نبط يخاطبونك من أفواه أعراب!

كلمت باللحن أهل اللحن أنفسهم لأن عيبي عند القوم إعرابى(٢٦)

...

عند الفراقد أسراري مخبأة — إذ لبست أرضي لآرابي بارابي (٢٧)

ترائبي – وهي مغني السر – ما علمت — به لدي،و فهل نالته أترابي؟!

...

ما شد ربك أزراً بي، فينقصني — من رتبة لي من القول أزري بي

أضعت ما كنت أمنيت الزمان به — بل جر ما كان أعدائي وحرابي

...

أسري بي الأمل اللاهي بصاحبه — حتي ركنبت سرايا بين أسراب

هربت من بين إخواني لتحسبني — في معشر من لباس الذام هراب!

كأنني كل حول محدث حدثاً — يري به من تولي المصر إغرابي

السيف والرمح قد أودي زمانهما — فهل لكفك في عود ومضراب؟!

الذئب له العذر

جاء النبي بحق كي يهذبكم — فهل أحس لكم طبع بتهذيب؟!

عود يصدق، أو غر يكذب، أو — مردد بين تصديق وتكذيب!

ولو علمتم بداء الذئب من سغب — إذن لسامحتم بالشاة للذيب

الماء في الأنابيب

طرق النفوس إلي الأخري مضللة — والرعب فيهن من أجل الرعابيب (٢٨)

ترجو انفساحاً، وكم للماء من جهة — إذا تخلص من ضيق الأنابيب!

براء من الشعراء

بني الآداب: غرتكم قديماً — زخارف مثل زمزمة الذباب

وما شعراؤكم إلا ذئاب — تلصص في المدائح والشّباب

أضـــر لمن تـود من الأعـــادي وأسـرق للمـقـال من الزباب (٢٩)
أقـــارضـكم ثناء غــيـــر حق كـأنا منه في مـجـري سـبـاب!
أأذهب فــيكم، أيام شــيــبي كـمـا أذهبت أيام الشـبـاب؟!
مــعــاذ الله قــد ودعت جــهلى فـحـسـبي من «تميم» و«الرباب»

...

ومـــا سم الحـبـــاب لدي إلا كنظم قـيل في آل الحـبـاب (٣٠)
ليعـد مع الضـبـاب «سليل حـجـر» وسائر قوله في «ابن الضباب» (٣١)
فـمـا «أم الحـويرث» في كـلامى بعـــارضـــة، ولا «أم الـربـاب»

...

وألقـيت الفـصـاحـة عن لسـاني مـسلمــة إلي العــرب اللبـــاب

ذروني يفــقــد الهــذيان لفظي وأغلق - للحـمـــام - علي بابي!

عذاب عذب!

جـدت أريح وأسـتــريح بلحــده خـيــر من القـصــر الذي آذي به
ولأشـربن من الحـمـام كـؤوسـه مـــا بين جـــامـــده وبين مـــذابه
عـذب يعـذبني: البـقـاء، وللردي يوم يـخـلص من فـنون عــــذابه

تصديق وتكذيب

كم أمــة لعــبت بهـا جــهــالـهـا فتنطست من قبل في تعذيبها (٣٢)
الخـوف يلجـئـهـا إلي تصـديقـهـا والعـقل يحـملهـا علي تكذيبـهـا
وجبلة الناس : الفسـاد، فضل من يسـمـو بحكمتـه إلي تهـذيبـهـا

مصير مجهول

سنؤوب في عقبي الحياة مساكناً ... لا علم لي بالأمر بعد مآبها
لا تأمنن من الدهور تغيرا ... حتي تكون ظباؤها كذئابها
ويصير في «شيبان» مجني غرسها ... ويعود مسقط ثلجها في (آبها)(٣٣)

أين الهدي؟

بنت النصاري للمسيح كنائساً ... كانت تعيب الفعل من منتابها!
ومتي ذكرت «محمداً» وكتابه ... جاءت يهود بمجدها وكتابها!
أفمله الإسلام ينكر منكرٌ ... وقضاء ربك صاغها وأتي بها؟!
أين الهدي فنرومه بمشقة ... في البيد: ساطية علي مجتابها؟!

رفض متبادل

أف لدنياي فإني بها ... لم أخل من إثم ومن حوب (٣٤)
قلت لها: امضي غير مصحوبة ... فقالت: أذهب غير مصحوب!

درس «الخليل»

تولي «الخليل» إلي ربه ... وخلي العروض لأربابها
فليس بذاكر أوتادها ... ولا مرتج فضل أسبابها

أعاجيب الكتب

أخبرت عن كتبك أعجوبة ... ورب مين ضمنته الكتب!
تواصل الغي، ولو لم يكن ... فيك حجاً ما عتبتك العتب
وطبعك الشر، فإن أمكنت ... توبة ليل – عن سواد – فتب!

غواية الكذب

إني ونفــــسي أبداً في جـــذاب   أكـــذبهـــا، وهـي تحب الكذاب!
إن أدخل النـار، فلـي خـــالق   يحـمل عني مـثـقـلات العـذاب

غربة العاقل

كـــأن «حـــواء» التي زوجـــهـــا   «آدم» لم تلقح بشـــخص أريب
قـد كـثـرت في الأرض جــهـالنا   والعـــاقل الحـازم فـــينا غـــريب

جمعة وسبت وأحد

ثـلاثـة زيـام لأهـل تـنـافـــــــر   ولكن قـــول المسلمين هو الثــبت
يري الأحد «النصرى» عيداً لأهله   وجـمـعـتنا عـيد لنا، ولك السـبت
ومـا النـاس إلا خـالف بعـد سـالف   كـذلك نبت الأرض يخلفــه النبت
إذا افـتكر الإنســان في أمـر دينه   بدا نبــأ يثني الحـجــا وبه كـبت
فــهل خـبـر عن أنفس بان وفــدها   إلي الله، معمور بأجسامها الخبت؟!(٣٥)

فرق.. وحظوظ

مـــــصل ودهري وغــــاو وناسك   وأزهـر مكبـــوت وأســـود كــابت
أينحل دهر يعـــقـــد الحظ يومــه   فينجح ساع، أم هو الدهر سابت؟!(٣٦)

إثبات المستحيل

رأيت جـمـاعـات من الناس أولعت   بإثبـات أشـيـاء اسـتـحـال ثبـوتهـا!
فـقـد أخـبـرت عن غـيـهـا سنواتهـا   كـمـا أخـبـرت آحـادهـا وسـبـوتـهـا
ومـــا هـي إلا النـار توقـــد مـــرة   فـتـذكـو، وتارات يحـين خـبـوتـهـا

أتقياء أدعياء

إذا ما ادعوا لله خوفاً وطاعة فلا ريب أن المدعين عصاة!
وأوصاهم أهل الأمانة والتقي فما حفظت بعد المغيب وصاة!

ملائكة عفاريت

لو ينطق الليل نادي: كم فري ظلمي فجر، وأدلجت في حاج وأسريت!
وأعلمتني رجال في مآربها كأنني جمل للإنس أبريت!

...

ناس إذا نسكوا عدوا ملائكة وإن طغوا فهم جن عفاريت

اتفاق واختلاف

علي الكذب اتفقنا فاختلفنا ومن أسني خلائقك الصموت
وقد كذب الذي سمي وليداً: يعيش، وبر من سمي: يموت

نعت بنعي

قد أصبحت ونعاتها نعاتها وكذلك الدنيا تخيب سعاتها
كرارة أحزانها، ضرارة سكانها، مرارة ساعاتها
نامت دعاة (الدولتين) فضاعتا وهي المنية لا تخيب دعاتها (٣٧)
ذرها، وتلك نصيحة معروفة عظمت منافعها وقل وعاتها

...

وهي النفوس إذا تميز بينها فأعزها في العيش مقتنعاتها
ومتي طردت أمورها بقياسها فأحقها بمذلة: طمعانتها.

الجنة والنار

بنت عن الدنيـــــا ولا بنت لـي ... فـــيـــهـــا ، ولا عـــرس، ولا أخت!
وقـــــد تحـــمـلت من الـوزر مـــا ... تعـجـز أن تحـمله البـخت!(٣٨)
إن مـــدحـــوني ســاءني مـــدحـــهم ... وخلت أني في الثـــري ســـخت
جـسـمي أنجـاس، فـمـا سـرني ... أني بمسك القـــول ضـــمـــخت
من وسخ صــــاغ الـفـــتي ربه ... فـــــلا يقـــــولن توســـــخت
والبـــخت في الأولي أنال العلي ... ولـيس فـي آخـــــــــرة بـخـت!
كـــذاك قـــالـوا وأحـــاديثـــهم ... يبين فـيـهـا الجـزل والشـخت
لو جـاء من أهل البلي مـخـبـر ... ســـــألت عن قـــــوم، وأرخت
هل فـــاز بالجنة عـــمـــالـهـــا؟ ... وهل ثوي في النار «نوبخت»؟(٣٩)

جزاء الكبت

عليكم بإحــــســـانكم، إنكم ... مـتي تكتـبـوا غـيـركم تكتـبـوا

... ...

فـيـا للنصـــاري إذا أمـسكوا! ... ويا لليـــهـــود إذا أســـبـــتـــوا!
وقـــد ســـئلوا عن عـــبـــادتهم ... فـــمـــا أيدوها ولا ثبـــتـــوا!
ومن خـيـر مـــا فـــعل الفـــاعلو ... ن: أنهم بتـــقـي أخـــبـــتـــوا

أخبار ملفقة

فاخشي المليك، ولا توجد علي رهب ... إن أنت بالجن في الظلماء خشينا
فـــإنما تلك أخـــبـــار ملفـــقـــة ... لخدعة الغافل الحشوي ، حوشيتا!

الشك بوجهيه

والنفس شكت في يقين الأمـر والـ ـكفـان إن رمـتـا قنيـصـاً شكتـا!
لم تشف ذنبي (المكتـان)، وإن لي شفتين، أخلاف المعيشة مكتا(٤٠)

الدهر النحات

أي صـفـاة لا يري دهـرها يجيـد في مـدته نحـتـهـا؟!(٤١)
كـانوا زمـانا فـوق غـبـرائهم ثم اسـتـحـالوا فـغـدوا تحـتـهـا
أو دعـهـم ربهـم سـرهـا من بعد مـا أطعمـهم سحتهـا (٤٢)

طرب وحنين

طربت لقـمـريتي مـربع علي غـصـني ضـالة غنتـا
بدت لـهـمـا زهـرات الربيـع فـأحـسـنتـا القـول وافـتـنتـا
وتعـذر نفـسك عند الحنين وتعـذل نفـسك أن حنتـا!

دين دني

عذيري من الدنيا، عرتني بظلمها فـتـمنحني قـوتي لتـأخـذ قـوتي!
وجـدت بهـا ديني دنيـا، فـضـرني وأضـللت منهـا في مـروت مـروتي!

ديانات وإتاوات

ولا تطيـعن قـومـاً مـا ديانتـهـم إلا احـتـيـال علي أخـذ الإتاوات
وإنما حـمـل التـوراة قـارئهـا كـسب الفـوائد، لا حب التـلاوات
إن الشـرائع ألقت بيننا إحنا وأودعـتـنا أفـانين العـداوات
وهل أبيـحـت نسـاء القـوم عن للعـرب إلا بأحكام النبـوات!

إثبات .. وعجز

أثبت لي خـــالقـــا حكيـــمـــاً ولست من مـــعـــشـــر نفـــاة
خـــبطت فـي حندس مـــقـــيم وأعـــجـــزت علتي شـــفـــاتي
فـــمـــن تـراب إلـي تـراب ومن ســـفـــاة إلـي ســـفـــاة!

نهجان متعاكسان

ومــاذا يبـتـغي الجلســاء عندي؟ أرادوا منطقي، وأردت صـمـتـى!
ويوجـــد بيننا أمـــد قـــصـي فـأموا سـمـتـهم، وأممت سـمـتي

المساواة في الدين

وســـاو لديك أتراب النصـــاري وعـــينا من يهـــود ومـــسلمـــات
ومن جـــاورت من حنف، وســـرب صـــوابيء، فـليبن مـكرمـــات
فـــإن النـاس كلـهـم ســـواء وإن ذكت الحـروب مـضـرمـات

سحابة عمياء

رويدك يا ســحـــابة لا تجـــودي علي السبخات - من جهل - هميت!
طلبـت ديانـة بـين البـــرايا لقد أشوت سهامك إذ رميت (٤٣)
تزيوا بالتـــصـــوف عن خـــداع فـهل رزت الرجـال أم اعـتـمـيت!
وقـــامـــوا في تواجـــدهم فـــداروا كـــأنهم ثمـــال من كـمـيت (٤٤)
ومـــا رقـــصـــوا حـــذاراً من إله ولا يبـغـون إلا مـا حـمـيت(٤٥)

هات ما عندك

إنما نحن في ضـــلال وتعليل، فـــإن كنت ذيقين فـــهـــاته!
ولحب الصـــحـــيح آثرت الرو م انتـســاب الفـتي إلي أمـهـاته

جـــــهـلـوا مـن أبـوه إلا ظـنـونـاً   وطلا الـوحـش لاحق بمـهـــاتـه(٤٦)

...

رئس الـنـاس بالدهـاء فـمـا ينسـفك   جـــيـل يـنـقـــاد طـوع دهـاتـه!

وليد يعبث

نهـار وليل عـوقـبـا، أنا فـيـهـمـا   كـأني بخـيطي باطل تنشـبث(٤٧)

أظن زمــانـي - كـونه وفـســاده   وليداً، بترب الأرض يلهـو ويعـبث!

ثلاثة محابس

أراني في الثـلاثة من سـجـوني   فـلا تسأل عن الخبـر النبيث(٤٨)

لفــقــدي ناظرى، ولزوم بيـتـي   وكون النفس في الجسد الخبيث

الإنسان حيوان حارث

أكرهت أن يدعي وليدك: «حـارثـا»؟   يا حـارث ابن الحـارث ابن الحارث!

تلك ألصـفـات لكل من وطئ الحصي   مـــا بين مـــوروث وآخـــر وارث!

ضلال بلا هداية

ضـللتم، فـهل من كوكب يـهتـدي به   فقـد طال مـا جن الظلام ومـا دجي

فــلا تأمـنـوا المرء الـتـقـي علي الـتي   تسـوء، وإن زار المسـاجد أو حـجـا

ولا تقـبـلوا من كـاذب مـتـســوق   تحـيل في نصـر المذاهب واحـتـجـا

فـذلك غـاوي الصـدر، قلبي كـقلبـه   متي مـلأ التذكير مسـمـعـه، فـجـا!

الخلاص بالموت

كـــأس المنيـــة أولـي به، وأروح لـى   من أن أكــابد إثـراء وإحــواجـــا!

في كل أرض صـروف غـيـر هازلة   يلعـبن بـالـنـاس أفـــراداً وأزواجـــاً

أشراف عبيد

وأشرف من ترى في الأرض قدرا	يعيش الدهر عبد فم وفرج
وحب الأنفس الدنيا غرور	أقام الناس في هرج ومرج
وإن العز في رمح وترس	لأظهر منه في قلم ودرج
وما اختار أني الملك، يجبي	إلي المال من مكس وخرج
فدع إلفيك من عرب وعجم	إلي حلفيك من قتب وسرج

معتزلة ومرجئة

وجدت الناس في هرج ومرج	غواة بين معتزل ومرجي
فشأن ملوكهم عزف ونزف	وأصحاب الأمور جباة خرج
وهم زعيمهم إنهاب مال	حرام النهب، أو إجلال فرج!

...	...

غدا العصفور للبازي أميرا!	وأصبح ثعلباً ضرغام ترج(٤٩)
أفي الدنيا - لحاها الله - حق	فيطلب في حنادسها بسرج؟!

يأس ورجاء

حالي حال اليائس الراجي	وإنما أرجع أدراجي
إذا رأيت الخير في رقدتي	عددتها ليلة معراجي!

نفاق مشترك

وصفتك، فابتهجت وقلت خيراً	لتجزيني ، فأدركني ابتهاجي
إذا كان التعارض من محالٍ	فأحسن من تمادحنا التهاجي

غناء ونياحة

لقد سنحت لي فكرة بارحية ... وما زادني إلا اعتباراً سنوحها
برية طوق، ما أقل جناحها ... جناحا وفي خضر الغصون جنوحها
وهاج حمياها أصيل مذكر ... تغنيه شجواً، أو غداة تنوحها
وتلك لعمري شيمة أولية ... توارثها «شيث» الحمام و«نوحها»

هذيان طويل

أري هذياناً طال من كل أمة ... يضمنه إيجازها وشروحها
وأوصال جسم للتراب مآلها ... ولم يدر دار أين تذهب روحها!

حسان قباح

أعاذلتي إن الحسان قباح ... فهل لظلام العالمين صباح؟!
يسمي ابنه «كسرى» فقير ممارس ... شقاء، وأسماء البنين تباح!

مرآة العقل

مرآة عقلك، إن رأيت بها سوي ... ما في حجاك، أرته وهو قبيح!
أسني فعالك ما أردت بفعله ... رشداً، وخير كلامك التسبيح

مفتاح العلم

العلم كالقفل، إن ألفيته عسراً ... فخله ، ثم عاوده لينفتحا
وقد يخون رجاء بعد خدمته ... كالغرب خانت قواه بعدما متحا

نابحون مسبحون!

دعوا، وما فيهم زاك، ولا أحد ... يخشي الإله، فكانوا أكلباً نبحا

...   ...

وليس عندهم دين ولا نسك   فلا تغرك أيد تحمل السبحا
وكم شيوخ غدوا بيضاً مفارقهم   يسبحون وباتوا في الخني سبحا
لو تعقل الأرض ودت أنها صفرت   منهم، فلم ير فيها ناظر شبحا!(٥٠)

عذاب القبر

ومن تأمل أقوالي رأى جمالا   يظل فيهن سر الناس مشروحا

...   ...

إن صح تعذيب رمس من يحل به   فجنباني ملحوداً ومضروحا
الوحش والطير أولي أن تنازعني   فغادراني بظهر الأرض مطروحا

...   ...

يا نفس يا طائراً في سجن مالكه   لتصبحن بحمد الله مسروحا

تعريض وتصريح

عجبي للطبيب يلحد في الخا   لق، من بعد درسه التشريحا!
ولقد علم المنجم ما يو   جب للدين أن يكون صريحا

...   ...

فطن الحاضرين من يفهم التعريض   حتي يظنه تصريحا

...   ...

كيف لي أن أكون في داري الأخري   معافي من شقوة مستريحاً!
ذا اقتناع كما أنا اليوم فيه   أو أخلي فلا أريم الضريحا
عجباً لي، أعصي من الجهل عقلي   ويظل السليم عندي جريحا!

عظة المسيح

بني زمني هل تعلمون سرائراً علمت ، ولكني بها غير بائح!
سر يتم علي غي، فهلا اهتديتم بما خيرتكم صافيات القرائح؟!
وصاح بكم داعي الضلال، فما لكم أجبتم – علي ما خيلت – كل صائح؟!
متي ما كشفتم عن حقائق دينكم تكشفتم عن مخزيات الفضائح

...

ويعجبني دأب الذين ترهبوا سوي أكلهم كد النفوس الشحائح
وأطيب منهم مطعماً في حياته سعاة حلال بين غاد ورائح
فما حبس النفس المسيح تعبداً ولكن مشي في الأرض مشية سائح

...

وأزهد في مدح الفتي عند صدقه فكيف قبولي كاذبات المدائح؟!

ليلي.. ولبني

أما وفؤاد بالغرام قريح ودمع بأنواع الهموم سريح
لقد غرت الدنيا بنيها بمذقها وإن سمحوا من ودها بصريح(٥١)
أ«ليلي» وكل أصبح «ابن ملوح»؟! و«لبني» وما فينا سوي «ابن ذريح»؟!

الحرق أفضل من الدفن

من عاشر الناس لم يعدم نفاقهم فما يفوهون من حق بتصريح
فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم وذاك أروح من طول التباريح
إن حرقوه فما يخشون من ضبع تسري إليه، ولا خفي وتطريح
والنار أطيب من كافور ميتنا غبا، وأذهب للنكراء والريح

اصدحي يا حمامة

أهاتفـــــة الأيك خلـي الأنام ... ولا تـثلبـــــيـــــه، ولا تمدحـي
وإن كنت شـــادية فــاصــمــتي ... وإن كنت باكـيــة فـاصــدحي
كـــدحنا لفــــانيـــــة حلوة ... فـكـيـف نـلـومـك إن تـكـدحـي؟!
ومـــا كـــتـــبـــتـــه يد للزمـــان ... فـــعن يده - مـــرة - يمتـــحـي
وكم بدأ الحي في حـــاجـــة ... فـــأعـــجله قـــدر ينتـــحي
كـــمـــا ملئ الغـــرب من مـــائه ... وخلي في الجـفـر لم يمتح(٥٢)

لا تغرق في قدح

هي الراح أهلاً لطول الهـجـاء ... وإن خـصـهـا مـعـشـر بالمدح
فــلا تعـجـبنك عـروس المدام ... ولا يطربنك مـــغن صـــدح
ومن يفـــتـــقـــد لبـــه ســـاعـــة ... فـقـد مـات فـيـهـا بخطب فـدح
قـبـيح بمن عـد بعض البـحـا ... ر، تغـريقـه نفـسـه في قـدح!

السادة الجهلاء

تفــــرقــــوا كي يقل شــــركم ... فــــإنما النـاس كلـهـم وسـخ
أجـهل بســاداتهم وإن زعـمـوا ... أنهم في علومـــهم رســـخـــوا!
مـا فـسـخـوا بالقـبـيح عـهـدهم ... ضنوا وأمـا بسـرهم فـسـخـوا!
قـد نسخ الشـرع في عـصـورهم ... فليتـهم مـثل شـرعـهم نسـخـوا!

نسخ.. ومسخ.. وفسخ

أحـسـن بهـذا الشـرع من ملة ... يثـبت، لا ينسـخ فـيـمـا نسخ
جـاءت أعـاجـيب، فـويح لنا ... كـأننا في عـالم قـد مـسـخ
والجـسـم كـالثـوب علي روحـه ... ينزع أن يخلـق أو يتـســخ

شرح بعض المفردات:

(١) يريد أنه لم يشأ أن يتزوج ولا أن ينجب ذرية يتصل بها ذكره.

(٢) مؤرب: شديد الإحكام

(٣) الأنف: الكبرياء والنخوة، والأباء: أحراش القصب التي يتخذها الأسد عرينا له.

(٤) ذو نجب، اسم أحد الأودية بالجزيرة العربية.

(٥) الحباء، ما يقدم للعروس من هدايا وعطايا.

(٦) الرواء، هو الرواء، المنظر البهيج في عين الرائى.

(٧) قر: برد شديد

(٨) الحمم بقطع الفحم، والرماد.

(٩) الأعيار: الحمير، واحدها: عير.

(١٠) يأبق: يهرب.

(٩١١ شيبة: بطن من قريش، كان منهم سدنة الكعبة، والجماري: الجماعات.

(١٢) الزوائف: الدراهم أو الدنانير عامة، والمزيفة خاصة

(١٣) المين: الكذب

(١٤) الغطارفة: السادة الأشراف، واحدها: غطريف.

(١٥) يريد (شعب أبي طالب) الذي أبعدت إليه قريش جماعة المسلمين الأولى

(١٦) الغار: لغيرة.

(١٧) الشري: الحنظل، والأري: عسل النحل

(١٨) القلب: الآبار، واحدها: قليب

(١٩) الإرب: الحيلة والدهاء.
(٢٠) المتقارب: أحد البحور الشعرية، ودائرته العروضية تتميز بانفرادها
(٢١) سليبي: عقلي المسلوب.
(٢٢) الهائد: الراجع إلي الحق بعد ضلال.
(٢٣) الرافضة: إحدي فرق الشيعة، والناصبة: إحدي الفرق التي تعادي التشيع.
(٢٤) الصاب: شجر عصارته شديدة المرارة.
(٢٥) أبو الهذيل: متكلم معتزلي هو أبو الهزيل العلاف. وابن كلاب: متكلم أشعري
(٢٦) اللحن: الغلط في الإعراب
(٢٧) الآراب: الأولي تعني الأهداف والمآرب، والثانية تعني المكر والدهاء.
(٢٨) الرعابيب: النساء البضات الناعمات، واحدها: رعبوبة.
(٢٩) الزباب: جنس من الحيوان يشبه الفأر، معروفة بمهارته في السرقة والخطف.
(٣٠) الحباب: الأولي تعني الحية السامة، والثانية: الخمر.
(٣١) سليل حجر: هو: امرؤ القيس، وأسماء الأعلام المذكورة وردت في شعره
(٣٢) تنطست: تفننت وتعمقت.
(٣٣) شيبان: شهر كانون الأول، وآب: شهر أغسطس.
(٣٤) الحوب: الحاب، أي الإثم.
(٣٥) الخبت: فضاء الأرض
(٣٦) سابت: ساكن.
(٣٧) المراد هنا بالدولتين: الأموية والعباسية.

(٣٨) البخت: الإبل النجيبة.

(٣٩) نوبخت: اسم فارسي (سادن بيت النار).

(٤٠) المراد أنه رضع من ضرع الحياة ألوان المعاناة.

(٤١) الصفاة: الصخرة الصلبة.

(٤٢) السحت: المال الحرام.

(٤٣) أشوت: أخطأت الهدف.

(٤٤) أى كأنهم سكاري من الشراب

(٥٤) ما حميت: المراد هنا: ما منعت.

(٤٦) الطلا: ابن البقرة الوحشية أو المهاة، جمعها: أطلاء

(٤٧) عوقبا: أي تعاقبا.

(٤٨) النبيث: السيء والخبيث.

(٤٩) ترج: اسم موضع مشهور بأنه موطن الأسود.

(٥٠) صفرت: أي خلت.

(١٥) المذق: الغش في الود خاصة

(٥٢) الجفر: البئر.

دراسة

حول نظرية القومية العربية

د. محمد عبد الشفيع عيسى

ما المقصود بالنظرية ونظرية القومية العربية..؟

ما النظرية..؟ ونقصد تحديدا: النظرية فى العلم، سواء منه الطبيعى أو الاجتماعي.

لقد اختلفت الإجابات حسب اختلاف زاوية النظر:

١ - إذ يعرف البعض النظرية بأنها مجموعة من القوانين المترابطة منطقيا.

٢ - ويعرفها البعض الآخر بأنها بيان بالفروض التى تحدد العلاقات المنتظمة بين الظواهر.

٣ - ويرى آخرون أنها إطار تفسير للمشاهدات أو الملاحظات العلمية.

وفى رأينا أن هذه الزاويا متكاملة، ولا يستبعد بعضها بعضا بالضرورة: فالنظرية تبدأ بالملاحظات أو المشاهدات ثم تقوم على مجموعة فروض.. ثم يتم اختبار مدى صحة هذه الفروض من خلال التجربة، فإذا تأكدت صحتها أصبحت بمثابة (قوانين).

ويبدو أنه مع اتفاق غالبية علماء المعرفة - أو الإبستمولوجيين - على

العناصر السابقة، منفردة أو مجتمعة، إلا أن هناك اختلافاً حول مضمون بعضها أو علاقاتها المتبادلة:

١ - فالبعض مثل الفيلسوف كارل بوبر يرى أن غرض بناء النظرية ليس اكتشاف مدى صحة الفروض، ولكن مدى كذبها - أى أن البحث فى النظرية هو بمثابة بحث فى قابلية التكذيب وليس فى قابلية التصديق.

٢ - والبعض مثل علماء الفرع الجديد من فلسفة العلم المسمى «عدم الانتظام» أو (الفوضى» يرى أن هدف النظرية ليس اكتشاف الانتظام وإنما اتصور عدم الانتظام، أى اكتشاف الجانب غير المنتظم من سلوك الظاهرة.

٣ - والبعض يرى أن المحك فى تحديد النظرية هو السعى إلى صوغ قوانين، بينما يرى آخرون - مع جاستون بلاشلار - أن النظرية تمثل ضرباً من ضروب القطيعةالمعرفية، أو أن النظرية تقدم منظوراً جديداً لفهم الظاهرة (بار اديم) حسب «توماس كون».

وبغض النظر عن هذه الاختلافات فإنه يمكن لنا أن نقدم تعريفاً للنظرية على النحو التالي:

النظرية هى بناء متسق من الاقتراحات بتفسير سلوك ظاهرة ما، طبيعية أو اجتماعية، وتنبع فى فى العادة من افتراضات أو مسلمات معينة ثم العمل من واقع الملاحظات أو المشاهدات الموثقة، على وضع مجموعة فروض توضع على محك التجربة لاختبارها، لتصاغ منها فى ضوء الاختبار تعميمات محددة تصلح كأساس لتفسير سلوك مفردات أخرى لنفس الظاهرة فى المستقبل).

ومن هذا التعريف تتبين العناصر الآتية للمنهج العلمى الذى يستهدف تأسيس نظرية:

- إن الافتراضات الأولية للباحث تهدى خطواته في عملية المشاهدة أو الملاحظة

المقننة.

- من مزج الافتراضات بالمشاهدات، توضع الفروض الأولية لشرح سلوك الظاهرة.
- التجربة كأساس لاختبار الفرض.
- التعميم – على هيئة قانون – من خلال اقتراحات بتفسير السلوك المستقبلى لمفردات الظاهرة أو الظواهر المبحوثة.

بين العلم الطبيعى والعلم الاجتماعى:

رغم التأكيد على عمومية التعريف السابق، كمحاولة لتقديم تعريف جامع مانع، فإن هناك.فارقاً لابد من التأكيد عليه، بين نظريات العلم الطبيعى والعلم الاجتماعي.

صحيح أن بناء النظرية فى الحالتين يبدأ من افتراضات، تعكس بطبيعتها، نوعاً من المسلمات القبلية للباحث إلا أن دور هذه المسلمات يكون أعظم شأنا فى مجال البحوث الاجتماعية عنه فى البحوث الطبيعية.

إن نظرية النسبية مثلا لم تكن بعيدة عن التصورات الفكرية الأولية لإينشتين عن الكون، ولكن أثر هذه التصورات فى بناء النظرية أقل بكثير من ذلك الأثر فى حالة نظرية كارل ماركس عن النظام الرأسمالى والتى ضمنها موسوعة (رأس المال).

وكما عبر البعض، فإن العلاقة بين العلم والإيديولوجية هى علاقة منتظمة على مسار متصل تبدأ بالأدنى وصولاً إلى الأعلى.. فهى الأدنى فى حالة العلم الطبيعي، أو بعض فروعه، وهى الأعلى فى حالة العلم الاجتماعي، أو بعض فروعه أيضا(١).

ومن هنا يصعب جداً فصل النظرية عن الإيديولوجيا فى مجال بحوث المجتمع الإنساني.

نظرية للقومية العربية..؟

لم يقدم الباحثون والمفكرون القوميون العرب، ودع عنك الأجانب، نظرية – بشكل

مباشر، فى القومية أو القومية العربية. بيد أنه يمكن استنتاجها وصوغها على نحو ما قدمنا عن عناصر كل نظرية.

إن ساطع الحصرى لم يصب أفكاره على هيئة قوالب تتماثل مع ذلك التعريف أو ذاك للنظرية، بيد أنه يمكن بيسر نسبى استخلاص مكونات نظرية ما للقومية والقومية العربية، من كتابات ساطع الحصري، ثم إعادة سبكها على هدى هذا التعريف أو ذاك للنظرية العلمية.

بل وكذلك الحال معنا هاهنا. فلن نتقدم بصياغة شكلية للتسلسل البنائى للنظرية العلمية، لنطبقه على مساهمتنا النظرية فى البحث إن وجدت.

ولكننا سنقدم أفكارنا النظرية حول موضوع القومية بما يتفق مع الغرض من البحث وفق عنوانه الرئيسي:(.. نحو نظرية.. إلخ).

ولقد قام المفكرون القوميون الكبار، وعلى رأسهم ساطع الحصري، وكذا عبد الله الريماوى وعصمت سيف الدولة، ونديم البيطار وغيرهم، بمحاولات لإقامة بنى نظرية:

- تنبع من افتراضات.
- وتتتبع الواقع بالملاحظة المقننة والدراسة الواعية.
- وتضع فروضاً:
- تطمح لأن تكون بمثابة قوانين أو سنن للتطور الاجتماعى البشرى عموماً، والعربى خصوصاً.

وحاولنا من جهتنا أن نسهم فى مثل هذا التيار المتدفق للنهر، ولو بقطرة واحدة.

النظرية والإيديولوجيا القومية:

من المهم – لغرض استيفاء الغاية من هذا الكتاب – أن نوضح طرفاً من أطراف العلاقة بين النظرية والإيديولوجية.

ويجدر بنا أن نقدم تعريفا للإيديولوجية أو العقيدة أو المذهب السياسي.

فالإيديولوجية يمكن تعريفها بأنها (منظومة من الاعتقادات الفعالة اجتماعي والتى تعكس الأفكار المثلة لمصالح وميول جماعات اجتماعية أو مجتمعات بعينها).

ومن هذا التعريف تتبين العناصر التالية(٢):

١ - إن قوام الإيديولوجية هو الاعتقاد، وليس مجرد الطرح الفكري.

٢ - إن الاعتقادات المتضمنة فى الإيديولوجيا، تتميز بالتناسق والتجانس فيما بينها فى شكل «منظومة».

٣ - إن هذه الاعتقادات فعالة اجتماعيا، وما لم تكن الأفكار فعالة فى المجتمع بصورة ملموسة، كتيار يشكل الأحداث ويتشكل بها، فإنها لا تعتبر فى عداد الإيديولوجيا، ولذلك غالبا ما تتجسد الإيديولوجيا فى حركات اجتماعية وسياسية.

٤ - إن الإيديولوجيات تعكس رؤية جماعة معينة فى مجتمع ما، أو رؤية المجتمع كله، لموقعها أو موقعه فى المجتمع أو العالم.

٥ - إن هذه الرؤية تعكس فهماً معيناً للمصالح، وتركيزاً للمشاعر، وتمثيلاً للميول الفكرية.

وفى ضوء هذا التعريف للإيديولوجية نعود إلى علاقتها بالنظرية..

وقد رأينا أن هذه العلاقة بين النظرية والإيديولوجيا جد وثيقة فى حالة البحوث الاجتماعية.

ويصدق ذلك على البحوث فى حقل التطور (النوعى) للمجتمعات الإنسانية، نحو مرحلة القومية، وربما إلى ما بعدها..!

وينطبق هذا - مرة أخرى - على الصلة بين المحاولات النظرية فى موضوع القومية العربية وبين إيديولوجيتها، بل إن هذه الصلة من القوة بحيث يمكن أن يمحى معها أحيانا - وبصورة نسبية - الفارق بين الجانبين. فقد انداحت الأفكار النظرية للقومية العربية فى حقل الممارسة، فتحولت إلى إيديولوجيا.

ولذلك يسوغ لنا، وقد ساغ ، أن نتحدث عن الفكر القومى العربى باعتباره إيديولوجيا، أكثر منه نظرية.. وقد غلب الطابع الإيديولوجى أو الاعتقادى على أغلب الأطروحات الفكرية القومية بحث بات من المتعذر فصل ما هو نظرى عما هو إيديولوجي. ولا غرو، فالنظرية الاجتماعية إن لم تتحول إلى إيديولوجيا، بقيت حبيسة الأدراج والكتب كما يقولون، لتستحيل إلى فصول فى الكتب المدرسية حول تاريخ الأفكار.

وإن ما جرى على القومية العربية قد جرى على غيرها فى وطننا العربى والعالم: فكذلك كانت النظرية (والإيديولوجيات) الاشتراكية.. والإسلامية.. وكذلك كان الشق النظرى للديموقراطية..

لا تثريب علينا إذن إن بحثنا فى إيديولوجية القومية العربية، ونحن نبحث فى نظريتها.. أو أن نتناول نظريتها فى سياق إيديولوجيتها..

مفهوم «القومية» و«القومية العربية» فى التداول السياسى العربى: القومية كظاهرة اجتماعية وكمذهب سياسى

لقد استخدم مصطلح (القومية) فى الفكر السياسى الأوروبى – ثم العربى – بمعنيين(٣): أولهما القومية كظاهرة اجتماعية، وثانيهما: القومية كمذهب سياسي. ومن الملاحظ أنه فى الحالة الأولى – أى كون القومية ظاهرة اجتماعية – فأنها تقابل باللغة الإنجليزية لفظة Nationality، بينما يشار إليها فى الحالة الثانية أى المذهب السياسى أو الإيديولوجية فى الإنجليزية بـ Nationalism.

وفيما يلى نشير بإيجاز إلى السياق اللغوى – الاجتماعى لاستخدام المعنيين الخاصين بالقومية، أى:

القومية كظاهرة اجتماعية: أى باعتبارها الكيان الجماعى للأمة، والقومية كمذهب

سياسي: أى إيديولوجيا.

أولاً: القومية كظاهرة اجتماعية: ويمكن القول بإن المقصود بها قد ظهر – ضمنياً فى معظم الأحوال – الكتابات العربية الصحفية وغيرها فى أوائل القرن العشرين.. وتردد ذلك عند الحديث عن القومية، وعن الوطنية، وعن «العنصرية» وعن «الجنسية» وعن «العربية»، وعمن هو «العربى»، وعن الأمة وأمة العرب والأمة العربية، وجماعة العرب أو الوطن العربي، والجماعة العربية وعصبة العرب.. إلخ.

وكان هناك إجماع على دور اللغة والتاريخ والشعور والعادات فى كل ذلك.

وهذا هو الأمر الجديد والذى شكل المهاد العقدى للفكرة السياسية العربية أى المحتوى السياسى – المذهبى للفكرة العربية.

فقد أصبح هناك إدراك عام بوجود خصائص معينة لجماعة معينة هى جماعة تتميز بكونها عربية وأن أفرادها عرب.. وذلك رغم اختلاط مفهوم الانتماء العربى بالانتماء الإسلامى، والانتماء العثماني.. وكان هذا الخلط موجوداً حتى عند بعض أكثر المتحمسين للعربية.

إن هذا ما ندعوه بالعروبة السياسية، رغم عدم استخدام المصطلح نفسه فى تلك الفترة وقد تلت ما نسميه العروبة الثقافية(٤).

ويمكن القول فى هذا الصدد إن الكتابات العربية فى أوائل القرن العشرين لم تكن تؤكد على المعانى الدقيقة المرتبطة بظاهرة القومية العربية بقدر تأكيدها على المعانى المتصلة بالعروبة.

ثانياً: القومية كمذهب سياسي، أى باعتبارها إيديولوجية سياسية..

ليس هناك ما يدل بصورة قاطعة على أن الكتاب والممارسين العرب فى أوائل القرن العشرين قد توصلوا – ولو ضمنياً – إلى اعتبار فكرة القومية بمثابة محور لبناء

«نظرى» – متكامل نطلق عليه الآن «إيديولوجية» أو مذهباً سياسياً: أى منظومة فكرية متجانسة تتسم بالدقة والتجانس والعمق (دع عنك أنها ذات طابع اعتقادى وفعالة اجتماعية وذات مضمون اجتماعي محدد).. رغم أنه كانت لديهم أو لدى بعضهم على الأقل فكرة واضحة عما يريدونه فى المجال الفكري. ولذلك يمكن اعتبار كتاباتهم بمثابة البذرة أو البذور التى استنبتت منها فيما بعد نبتة إيديولوجية طامحة فى غمار الحرب العالمية الثانية.

وفى الحق كان مصطلح الأمة العربية موجوداً على هيئة (أمة العرب) منذ العصر الجاهلى(٥) بالإضافة إلى مصطلح ومفهوم الأمة فى الكتابات الدينية الإسلامية والقرآنية ولكن ليس بالمدلول المعاصر المقترن بالقومية كمفهوم حديث.

وتردد بالفعل مصطلح «أمة العرب» و«الأمة العربية» فى الكتابات العربية (العروبية) فى الشام.. وكذلك مصطلح (العرب) وكفي..

ويقول إبراهيم اليازجى مثلاً (تنبهوا واستفيقوا أيها العرب).. فى مطلع قصيدته الشهيرة.

ولكن مصطلح (القومية العربية) – بالمعنى المتداول فيما يتعلق بـ «الأمة» على النحو السائد فى الفكر السياسى الأوروبى المعاصر – لم يظهر إلا كتعبير ثانوى عند بعض الكتاب فى أوائل القرن العشرين، وبالتبادل مع مصطلحات أخرى مرتبطة فى مقدمتها : الوطنية والجنسية. وإنما أصبح المصطلح متواتراً فى عقد الأربعينيات من ذلك القرن.

وكان انتشار مصطلح القومية واستعماله للدلالة على ظاهرة محددة، الظاهرة (العربية) هو الجديد فى الإيديولوجيا، فقد ساد المصطلح كبشارة على بدء ظهور مشروع الإيديولوجية القومية العربية بالمعنى الحقيقي.

وبذلك أصبح مصطلح «القومية» يجب كلا من مصطلحي: أمة العرب (أو الأمة العربية) والعروبة. ودشنت اللفظة الجديدة عملية الانتقال التاريخى من مرحلة العروبة

الثقافية (نهضة اللغة والأدب منذ منتصف القرن التاسع عشر) إلى العروبة السياسية.

والحق إن انتشار «القومية العربية» كمصطلح على هذا النحو منذ أواسط الأربعينيات من القرن العشرين، وفى المشرق العربى تحديدا، كان تعبيراً عن بروز حقيقة جوهرية هى:

ارتقاء الشعور القومى إلى مستوى مرتفع نوعياً، إدراكاً، محدداً، بأن هناك أمة عربية (وليست مجرد أمة من العرب): إذ بينما أن أمة العرب هي، إلى حد بعيد، أمة من أصل معين (Race)، فإن الأمة العربية مفهوم أغنى وأشمل قائم على مكونات اجتماعية متداخلة منها: اللغة والتاريخ والحضارة والمصلحة.

لقد أصبح الشعور بتميز الأمة بكيان اجتماعى خاص، يعبر عنه بلفظ خاص (: القومية)، لفظ أخذ فى الحالة العربية (بناء صوتياً معيناً)، من (صوامت وصوات معينة)، غير مشتق من الأمة، لأنه لاحق للأمة زمنيا، بل ومختلف فى سياقه السياسى والحركى عن سياق نشوء الأمة (عكس الحالة الأوربية)، وهذا هو التطبيق «لاجتماعيات علم اللغة».

وبالإضافة إلى هذا المعنى للقومية العربية كظاهرة اجتماعية جديدة معبرة عن اندماج الشعور فى الواقع ، كان تعميم وانتشار مصطلح (القومية العربية) تعبيراً عن حقيقة أخرى إيديولوجية: وهى بروز مذهب سياسى جديد شرع يأخذ مكانه على صعيد المذاهب السياسية العربية الفعالة، هو مذهب أو إيديولوجية (أو مشروع إيديولوجية) القومية العربية. وسرعان ما علا نجمه بالمقارنة مع نجوم زاهرة أو أفلة أخرى فى منطقة المشرق العربى بوجه خاص، وأبرزها: الشرق الأوسط، الأمة السورية وسوريا الكبري، الهلال الخصيب، الأمة الإسلامية، النزعة «المصرية» وبالترادف مع أخذ المفهوم النظرى للأمة يكتسى رداءه (القومى) بالرجوع على الأساس العربي، أو العروبي، بالذات(٦).

نظرة مقارنة إلى المصطلحات ذات الصلة: بين العربية والإنجليزية:

تتمثل أهم المصطلحات المعنية والتى سنتعقبها هنا فيما يلى:

- أمة، وطن، بلد ، دولة.
- وطنية، قومية، جنسية، وطنى، قومى.
- أمية، أممية، دولية.

وفى البداية، وكما يقول بويد شيفر فى كتابه (القومية عرض وتحليل)(٧) إن عوامل تاريخية متباينة داخل فى تكون كل أمة وقومية وفكرة قومية.

وإن اشتقاق الكلمة الأساسية (أمة) لا يساعدنا فى هذا المجال إلا قليلاً لأنها جاءت من الكلمة اللاتينية Natio وأصلها Natus كما أن كليتهما مأخوذ من كلمة Nascor التى تعنى «أنا مولود».. وهو ما قد يشير إلى معنى وحدة الأصل الدموى أو النسب أو الولادة.

وتختلف هنا اللغة العربية التى وجدت بها كلمة تنصرف بدقة أكبر إلى معنى وحدة الأصل أو الدم وهى كلمة (القوم)، والتى هى أقرب إلى معنى الجماعة الإثنية Ethnic group والتى يترجمها البعض بالجماعة البشرية.

وفى اللغة العربية ظهر لفظ «أمة» كترجمة لـ Nation، بينما صك تعبير خاص هو (الوطن) والذى يقابله فى الإنجليزية نفس كلمة Nation، رغم أن كلمة وطن فى العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة كان يعبر عنها بـ .Patria(٨).

ولكن العرب ترجموا National والتى كان يمكن أن تترجم بكلمة «أمى» ترجموها بكلمة (قومى)، وهى التى تنصرف أساساً إلى المعنى المرتبط بوحدة الأصل والولادة... ويوقعنا هذا فى حيرة: ذلك إننا حينما نريد أن نعبر عما ينسب إلى القوم (بمعنى الجماعة الإثنية) لا نستطيع أن نقول قومى.. فماذا نقول؟

هل نقول كما قال البعض: أقوامى؟ ربما.. (رغم أن النسبة فى العربية لا تكون إلى

الجمع ولكن إلى صيغة المفرد).

المهم أن لفظة «قوم» تنصرف إلى الجماعة الإثنية أو الجماعة البشرية الأولية بمعني: الانتساب إلى أصل مشترك (دموى حقيقى أو موهوم)، ثم الاشتراك فى عناصر تاريخية ولغوية (مثل الأقوام المساماة لدى الباحثين الأوروبيين بالسامية والحامية قبل ظهور الإسلام فى المنطقة المكونة للوطن العربى الآن).

وفى ضوء مفهوم الأمة والقومية المشتق من الخبرة العربية يمكن التفرقة بين القوم أو الأقوام الأولية Primary Peoples(٨) (وهى الجماعات الإثنية، أى الجماعات التى تتميز بالانتساب إلى أصل مشترك حقيقى أو معتقد، والتى يضاف إليها عناصر اللغة المشتركة والتاريخ المشترك كما قلنا)، وبين الأقوام المركبة Composite Peoples أو «القوم المشترك» والذى هو عبارة عن محصلة اندامج أكثر من قوم أولى.

وإذا كانت (الأقوام الأولية) أقرب إلى مفهوم الجماعات الإثنية أى الجماعات البشرية الأولية(٩)، فأن الأقوام المشتركة أو المركبة هى أقرب إلى مفهوم (الجماعة القرومية)أو هى تمهيد لها وتتصل بما يمكن أن نطلق عليه «القومية الاجتماعية» أى القومية كظاهرة اجتماعية أى Notionality.

وقد استنتجنا «المفاهيم – المصطلحات» السابقة على كل حال من واقع الخبرة العربية بصورة محددة:

ففى المرحلة السابقة على ظهور الإسلام وجدت (أقوام أولية) متعددة، هى الأقوام التى سكنت على «منطقة التقاطع» (بلغة «نظرية المجموعات» فى علم الرياضيات الحديثة) بين الدائرتين الآسيوية والإفريقية، كما سوف نري، والذين أطلق عليهم بعض علماء اللغات الغربيين والمستشرقين تعبير الشعوب السامية والحامية والذى ساد، لزمن طويل، علم الأجناس الغربي.

وأبرز الأقوام (السامية) – إذا استخدمنا التعبير الاستشراقى تجاوزا وبصفة مؤقتة – فى المنطقة التى تشمل الشرق العربى الحالى كله، فى شبه الجزيرة العربية ووادى

الرافدين وسوريا (التاريخية) وفلسطين، وذلك فى الفترة السابقة مباشرة على الإسلام، كلا من القوم (السامى) العربى وأقوام «سامية» غير عربية كانت تتحدث الآرامية، وذات أصول كلدانية، شرقى المنطقة، وكنعانية، غربيها..

أما الأقوام (الحامية) - تجاوزا أيضاً - فى شمال وشرق إفريقيا فكانت تضم أساسا، فيما يتعلق بموضوعنا، كلا من القوم القبطي، والقوم «البربرى» أو الأمازيغى، والقوم الكوشى فى إثيوبيا وإريتريا وشطر من السودان والصومال الكبير.

وفى قلب الأقوام «السامية» و«الحامية» تشكلت عبر الحضارة الإسلامية وشيجة جديدة ربطت هذه الأقوام - بحيث تحولت فى البداية إلى (قم مشترك) هو (القوم العربى المركب) أى الناتج عن امتزاج القومى العربى بالأقوام الأخرى من منطقة (المشترك الإفريقى الآسيوي). ثم أن هذا القوم العربى هو الذى شكل - من خلال التبلور الحضارى التدريجى - القوام المتكامل لما أصبح يمثل (الأمة العربية) كجماعة قومية ناجزة، نشأت واكتمل تكونها عبر حقبة ممتدة طوال ستة قرون تقريباً، أى منذ أوائل القرن السادس حتى القرن الثالث عشر الميلادى - وهى فترة «أزدهار» الحضارة الإسلامية.

هوامش:

١ - انظر: الدكتور على مختار (المرحوم) العلم والإيديولوجية، ورقة عمل، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ١٩٨٣.

٢- انظر: د. محمد عبد الشفيع عيسي، مقدمة فى الإيديولوجيات السياسية، العقائد السياسية المتصارعة فى مصر، دار ميريت القاهرة، تحت الطبع.

٣ - قريب من ذلك ما ذكرته موسوعة ستانفورد الفلسفية من أن مصطلح القومية يشير إلى موضوعين: أولهما الاتجاه الذى يتخذه أعضاء أمة ما فى تأكيد حرصهم

على هويتهم القومية، ويشير هذا الموضوع إلى القضايا المتعلقة بمفهوم الأمة والهوية القومية والذى يتحدد غالبا بواسطة الأصل المشترك أو الإثنى أو الروابط الثقافية، ويتعلق ثانيهما بالأفعال التى يقوم بها أعضاء أمة ما من أجل تحقيق صورة ما للسيادة السياسية أو المحافظة عليها سواء كانت سيادة دولة كاملة الخصائص أو غير كاملة أنظر: STANFORD ENCYCLOPEDIA OF PHILOSOPHY "NATIONALISM". ويمكن الحصول عليها من موقعها على الإنترنت:

HTTP://PLATO.STANFORD.EDU/ENTRIES/NATIONALISM.

4 – إننا نستخدم مصطلح العروبة هنا بمعنى قريب من القومية كظاهرة اجتماعية، ونقول قريب منه وليس مرادافا فالعروبة أقل درجة من القومية العربية فى الدلالة على الحقيقة الموضوعية الاجتماعية للقومية، إذ هى مصطلح عام يتميز بعدم التحديد الفكرى والسياسي، أى يشير إلى رابطة انتماء فضفاضة نسبيا.

٥ – ابن عبد ربه العقد الفريد، (فصل: وفود العرب) تحقيق كرم البستاني، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠.

٦ – تجدر الإشارة إلى أن بعض الكتاب العرب – وبعد صعود الحركة الإسلامية – أخذوا يعودون إلى المفهوم القرآنى والإسلامى للأمة ويحاولون إعادة تفسير وصبغ المفهوم القومى العربى بصيغة قرآنية إسلامية مرة أخرى ومن هؤلاء:

– د. ناصيف نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ (دراسة فى مدلول الأمة فى التراث العربى الإسلامى)، دار الطليعة، بيروت ، الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٨٣.

– د. عصمت سيف الدولة، العروبة والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية ودار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٦، ص ص ٢٥-٣٨

– د. محمد أحمد خلف الله، التكوين التاريخى لمفاهيم الأمة والقومية والوطنية والدولة، فى القومية العربية والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٢،ص ص ١٧-٣٠.

- رضوان السيد الأمة والجماعة والسلطة، دراسات فى الفكر السياسى العربى والإسلامي، دار اقرأ بيروت ١٩٨٤، ص ص ١٧-٨٨.

٧ - بويد شيفر، القومية: عرض وتحليل، ترجمة د. جعفر خصباك وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦.

٨ - يستنتج من ذلك أننا نعتبرمرادف «القوم» فى اللغة الإنجليزية هو PEOPLEوأن الجمع «أقوام» يقابله PEOPLES والأفضل الجمع فهو الأقرب إلى (روح) اللغة الإنجليزية، نظراً لأن المفرد PEOPLE يعبر عنه عادة «بالشعب» الذى هو العنصر البشرية للدول القومية NATIONSTATE، بينما PEOPLES (صيغة الجمع) تنصرف إلى الجماعات أو جمهرة الناس.

٩ - يعبر عن الأقوام الأولية فى شطر من الفكر الأوروبى وخاصة فى الإنثروبولوجيا بالجماعات البدائية كترجمة لمصطلح PRIMITIVEGROUPS ويقصد بها الجماعات التى تعيش فى عصرنا ولكن بأنماط حياة كانت سائدة فى (الماضى).

مسـرح

هيروشيما المحطة

أشرف أبو زيد

حقيقة تاريخية

ألقت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتها الذرية الأولى على مدينة هيروشيما اليابانية فى الساعة الثامنة والربع صباح يوم السادس من أغسطس عام ١٩٤٥، ثم ألقت القنبلة الذرية الثانية بعد ثلاثة أيام على مدينة ناجازاكى اليابانية فى الساعة الحادية عشرة ودقيقتين قبل الظهر، مما حول المدينتين إلى بقعتين من دمار شامل لم تعرفه البشرية. نشأت هيروشيما على دلتا نهر أوتا، وتفريعاته الستة، ووصلت بين أعضائها جسور كثيرة، وكان النهر صديقا عزيزا للأطفال، وجزءا من حياتهم، لكنه فى ذلك الصباح البغيض، كان مقبرة لهم، ولعائلاتهم، ودفنت القنبلة ثلث سكان المدينة، إذ بلغ الضحايا فى هيروشيما وحدها ١٤٠ ألف إنسان.

المشهد الأول

على مدخل الجسر الزراعى المؤدى إلى قرية مصرية صغيرة ترقد على نهر النيل فى شمال مصر. المشهد لموقف الحافلات، حيث يتوزع بعض المسافرين والمستقبلين والمودعين بانتظار الحافلات القادمة على طريق العاصمة. سيارات تبدو فى خلفية المشهد تتحرك من اليمين لليسار وبالعكس. الأعلام المصرية واليابانية موزعة بشكل مرئى ولافت، ولافتة تحمل اسم القرية (هيروشيما المحطة). المسرح دائما مقسم إلى قسمين، حيث يمكن نقل الحوار خلال المشهد الواحد على مستويين. والوقت صباحا.

على يمين المسرح شابان وفتاتان، بملابس عصرية، وإلى اليسار مجموعة من كبار السن، بالملابس الرسمية بينهم المحافظ، وعمدة البلد، وبعض كبار الموظفين.

الشاب ١:

أشعرُ اليومَ - أيها الأصدقاء - بفخر
كبير،
يمرحُ الهواءُ - فى رئتى - بحريةِ طائر
وأملٍ برعم صغير،
اليومَ سيذكرُ كلُّ العالم "هيروشيما
المحطة"،
مثلما يتذكر "هيروشيما" البلد.

(يتوجه للجمهور)

قبل ستين سنةٍ،
حين حَلق طائرُ الموتِ ليسدَّ نورَ الحياةِ
عن سماء مدينة هيروشيما فى اليابان
انتقل خبرُ المأساةِ
من الشرق للغرب،
كما تنقل الريحُ رمادَ جثة تيبست فى
العراء.
كان العلامةُ ابن قريتنا
العائد من بعثته فى السوربون،
يرغبُ بمشاركةِ العالم حزنه،
فدعا العمدة وشيوخ القرية إلى منزله،
وهناك قالَ لهم:
يدخل صوت الشاب ٢:

ليس لدينا يا أخوانى مال نرسله
لضحايا المحرقةِ،

ليس لدينا ما نفعلهُ
لبلادِ الشمس المشرقةِ،
لكن بعد ما جرى لهم،
قد تدور علينا
شقا الرحى وتهوى المطرقة.

الشاب ١:
الكل أجاب فى نفس واحد،
"إن ماتت هيروشيما هناك،
فلنذكرها هنا،
مع العالم المتحضر،
بالمشاعر الصادقة"..

فتاة ١:
ماذا كانت تملكُ قريتُنا
فى ذلك الزمنِ البعيدِ؟

الشاب ٢:
قالوا نتظاهرُ ضدَّ الحربِ..

فتاة ٢:
لكن الحربَ انتهتْ،
وبعد هيروشيما
حل الموتُ الأسودُ بشقيقتها نجازاكي.

الشاب ١:
قالوا نعوِّضُ الضَّحَايا ..

فتاة ٢:
لكن العينَ بصيرة، وأيادينا قصيرة!

الشاب ١:
قرر أهل القرية جلستهم
أن يغيروا اسم قريتنا
كانت هيروشيما البلد تحتضر
فى سرير النار
واختاروا أن تبقى "هيروشيما المحطة"
شاهدة حية على ذلك الدمار.

إلى اليسار، كبار المستقبلين، يتوجه المحافظ إلى عمدة القرية:

المحافظ (مبتسما):
يوم مشمس يا حضرة العمدة،
وكأن الجو يحتفلُ بقدومنا!

العمدة:
هكذا الصيف دائما عندنا
يا سعادة المحافظ!

المحافظ (خجلا):
صحيح .. صحيح
ما أسرع الأيام،
فأنا أزور "هيروشيما المحطة"
مرة كل عام!

المحافظ (يخاطب موظفا يبدو عليه سمات البيروقراطية، وكأنه مدير مكتبه):

راجعْ برنامجنا،
حتى تتأكد من دقائق الأمور؟
عين الحكومة ترقبنا،
فضلا عن أذن المأمور!!

الموظف:
لسعادتكم أيدٍ محترفة،
لا تترك شيئا للصدفة؛
وزعنا الأعلام الرسمية،
وزعنا الأوراق الرسمية،
وزعنا الصور الرسمية،
وزعنا أسماء الوجبات الرسمية،
وقياسات الأزياء الرسمية،
حتى الحمير
يا سعادة المحافظ
كممنا أفواهها
حتى لا تنهق بنشاز
عن الأصوات الرسمية!

المحافظ (بقلق):
هل تكفى الأسِرَّة فى بيت الضيافة
عدد الزوار؟
ربما يمتد الحفل
وليس من اللطافة أن نطردهم
قبيل مطلع النهار!!

الموظف (بنبرة يقين):
أرجوك لا تقلق أبدا، فالنقلُ يسيرٌ جدا،
ما أن ينتهى الحفل، حتى تتحرك قافلة الضيوف.

المحافظ (هامسا):
هل معهم أحد من مكتب الرئاسة؟

الموظف (بنفس درجة الهمس):
حتى الآن،
لم ترد إلينا أية أخبار،
لكن إشاعات تأتى من خلفِ ستار،
أن السفير الأمريكى قد يأتي!

المحافظ (منزعجا):

اطرد من وجَّه له الدعوة!

الموظف (بخوف):

لقد دعا نفسه يا سعادة المحافظ.

المحافظ

يتــحــرك فى قلق ، يحــاول الاتصــال مستخدما هاتفه المحمول:

هذا ما كان ينقصنا،
ألو،
نعم نعم
إنه أنا،
لم يصلنى خبر
أن الســفــيــر الأمــريكى ســيــحــضــر الاحتفال،
أنا ، أعترض،
لا ، ولكن يُفترض ...

(بلغة خانعة)

نعم،
الأمن يعرف دوره،
نعم،
ربك يكمل بستره.

يوجه الكلام للموظف:

صدقت الإشاعات،
إنه قادم فى الموكب الرسمي،
قــال بـأن لديه تقــارير عن تحــضــيــر لمظاهرات
ضد القطب الأعظم!

الموظف:

ليس لدينا خبرٌ،
لكن من يعلم؟

أصــوات أبواق ســيــارات، هرولة من الحرس، إلى اليسار تبدأ الشخصيات بالظهور والخروج من سياراتها ، وكل شخصية تخرج يسلم عليها المحافظ، ثم تصطف لمشاهدة العرض الراقص الذى أعدته القرية لاستقبال الضيوف على المحطة.

المنادي:

النازل فى "هيــروشــيــمــا المحطة" ..
وصلنا "هيروشيما المحطة"!
رئيس التــشــريفــات ينطق بأســمــاء

الضيوف، واحدا بعد الآخر، وزغاريد تنطلق بعد إعلان كل اسم، حتى يأتى اسم السفير الأمريكي، فتنطلق ولولة:

رئيس التشريفات:

السيد المحافظ .. حضرة العمدة .. تفضلا رحبا بضيوفكم .. سعادة سفير اليابان فى مصر كوجى نايتو (زغاريد)، سعادة الدكتور حسين زيتون سفير مصر فى اليابان (زغاريد) السيد فوميكو هايديكو أحد أبناء هيروشيما (زغاريد) السيدة هيساو هاشيا ممثلة لضحايا هيروشيما (زغاريد) سعادة السفير الأمريكى جون رايد (ولولة وبكاء) سعادة أوساكا سوزوكى عمدة مدينة هيروشيما ورئيس جمعية الصداقة بين هيروشيما البلد وهيروشيما المحطة (زغاريد).. وفرقة "الشمس المشرقة" لفنون الرقص الحديث فى اليابان (زغاريد) .. أهلا بالضيوف الكبار، وأهلا بالضيوف المرافقين (زغاريد مطولة)..

بعد أن يصافح المحافظ والعمدة الضيوف ويقفان وسط الصف .. يبدأ العرض، وعلى أنغام الأغنية تنطلق فرقة راقصين وراقصات بالأزياء الشعبية المصرية، لتقديم تابلوه غنائى ينهى المشهد الأول:

مْن قلبنا هنا
فى هيروشيما المحطة
لاخوتنا هناك
فى هيروشيما البلد
نغنى ،
والحروف تداوى الجروح
ونرقص ،
وأسماء الضحايا فى قلب الروح
فى القلب وفى الننى

(ستار)

المشهد الثاني

فى قاعة الاحتفالات بالقرية. الوقت عصرًا. تبدو فى خلفية المسرح خلف سور قصير أشجار وبيوت وأبراج حمام. فى منتصف خلفية المسرح منصة لإلقاء الكلمات. وعلى شمال المسرح شاشة كبيرة للمشاركة السينوغرافية فى العرض. على اليمين يجلس المحافظ

والعمدة مع الضيوف. تتوزع كراسى الحضور من أهالى القرية بين خشبة المسرح، ووسط صفوف الجمهور. لافتة تقول : أهالى هيروشيما المحطة يرحبون بأبناء هيروشيما البلد فى الذكرى الستين لضحايا القنبلة الذرية. الأعلام المصرية والأعلام اليابانية تتوزع فى سقف المكان. والورود باللونين الأبيض والأحمر فى الأصص الموزعة أمام الحضور، وعلى خشبة المسرح. تصفيق ومقدم الحفل يتقدم نحو منصة الكلام...

مقدم الحفل:

يُسْعِدُنى أن أستقبلَ
فى "هيروشيما المحطة"
الأصدقاءَ من هيروشيما البلد.

تعلمون:
لم تكنْ وحدها قريتنا التى
هزها الألم،
لكنها اختارت أن تكون شاهدة عليه
ومتضامنة معه.

منذ ستين عاما
أصبح كل ابن مسافر من هنا
رسول سلام،
يحمل معه رسالة الطيور التى تسكن هذه الأبراج (يشير لأبراج الحمام)
مثلما يحمل رسالة الحب للحياة
الذى يسكن هنا (يشير للقلب)
هذا الحفل أيها الأصدقاء
الذى ننقله مباشرة على الهواء
عبر القمر الصناعى واحد، والقمر الصناعى واحد ونصف،
من اليابان إلى اليونان، وكل مكان،
سيقدم صورة عن احتفال قريتنا
نموذجا للتآخى بين الشعوب.
يبدأ الآن العرض الراقص الذى أهدته لنا مدينة هيروشيما البلد فى هذه المناسبة
فلنحيى فرقة "الشمس المشرقة" للرقص الحديث التى ستقدم لنا فاصلا غنائيا راقصا .. بدون ترجمة ..

(يضحك ثم ينسحب بينما تتقدم الفرقة اليابانية)

(بعد عرض راقص للفنون اليابانية يتقدم مقدم الحفل)

مقدم الحفل وهو يصفق:

يسعدنى أن أشارك الجميع هذه المتعة،
ومن متعة البصر، إلى متعة الحروف،
السيدة هيساو هاشيا حفيدة الطبيب
الذى شاهد
جراح هيروشيما
ستقرأ عليكم بعضا من يوميات جدها،
فلتتفضل ...السيدة هيساو هاشيا ..

(تتقدم هيساو هاشيا بصحبة طفلة إلى المنصة، تفتح كتابا وتضعه ، لتقرأ منه، وفى تلك الأثناء، تعرض على الشاشة صور تمثل معادلا بصريا للكلمات التى تنطلق بها هيساو هاشيا)

هيساو هاشيا:

فى صبح السادس من أغسطس
سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف،
فى ساعة البكور،
فى الصباح الذى يغمر أوراق الشجر،
بالنور والحبور
كان جَدِّى الطبيب هاشيا هناك
يراقبُ الأمل.

بعد قليل كان سيذهبُ
مع بركة الله
كى يداوى الجراح
فى المشفى القريب.

لكن
تحت الظل الذى يرسم الحياة،
هبط شهاب النار من السماء.

ثم تحول الشهابُ لأخطبوط مارد،
ينثر الرماد والدخان
بين أشرعة اللهب والظلام.
ماتت الشمسُ واحتضر الصباح،
وتساقطت أعمدة المنازل
كالعصى التى نأكل بها الأرز
حين يلهو بها الأطفال.

بحيرة المنزل صارت تغلي،
تطهو الكائنات بها
كما يأكل جسدَ الشواء موقدُ التنور ..

تضاء الشاشة إلى اليسار ويظهر ثلاثة أشخاص موزعين على هيئة هرم .. إسقاط الضوء على الشخصيات بالأزرق والأحمر والأبيض، ويبدأ كل منهم فى إلقاء شهادته:

صاحب الظل الأحمر:

الجسور على نهر أوتا ألسنة حمراء،
من النار والدماء!
والموج يصهر المراكب والنفوس.

صاحب الظل الأبيض:
وتطفو على صفحة المياه
الكائنات التى غادرتها الحياة:
الخيول والقطط،
الأوز والأسماك!

صاحب الظل الأزرق:
(يشير بيديه لعمق المسرح كأنه يشاهد النهر)
رجل بلا رأس هناك،
رضيع بلا ذراع هنا،
وفوق وجه القبر المصهور
تحت التنور
فتاة بلا ساقين!

صاحب الظل الأحمر:
سقط الجلد من أجساد الصغار والكبار
كما تسقط الثياب الرثة
من فوق خيال المآتة!

صاحب الظل الأبيض:
غابت الشمس
أصبحت مثل بقعة من الحليب الجاف
فوق ستارة سوداء
هى السماء!

صاحب الظل الأزرق:
وبدأنا نشم رائحة الموت والصديد،
بين طحين العجين والدماء،
طحين كان قبل ذلك الصباح
أجسادا لبشر مثلنا!

صاحب الظل الأحمر:
فى هيروشيما، ما قبل جحيم القنبلة الذرية،
حفرنا السواتر فى كل مكان،
وجعلنا من كل الحفر ملاجيء.
كان الخارج منها موءودا، بالنار والدخان.

صاحب الظل الأزرق:
وكنا نستعد ليوم القيامة
حتى يتعرف ملوك الحساب على جثثنا،
فكنا نضع أسماءنا وعناويننا

فى لوحات معدنية
مثبتة فى ملابسنا الداخلية!

صاحب الظل الأبيض:
لم يكن الناجون هم المحظوظون
بل هؤلاء الذى لم يروا بأعينهم
احتضار أعز من لديهم
كان يبحثون بين الرفات
عن بقايا الزوجات والأخوات
وعلامات الأبناء والبنات!

تبدأ هيساو هاشيا بالبكاء، تصمت، يصفق الحضور، تتابع المشاهد المصورة ـ والتى يمكن الاستعاضة عنها بمشاهد صامتة لأصحاب الظلال الثلاثة ـ ولا تبقى بقعة من ضوء إلا عليها والشاشة الفضية إلى يسارها، تستجمع قواها، وتبدأ مرة أخرى ..

هيساو هاشيا:
حاول الجدُّ هاشيا الهروب،
بدأ يهرول مع جدتى
فوق جسور من الجثث التى انصهرت
فأصبحتْ مثل أسفلت الطريق
لزجة ومتفحمة.

كان الصهدُ قد سلبَ الجميع ملابسهم،
وحين وصل الجد هاشيا المستشفى،
بدأت رحلة الألم الحقيقية،
حين كان الموت أهون.

مات ثمانون ألفا صباح ذلك اليوم،
بعد أيام لحق بهم أربعون ألفا آخرون،

بسبب الحروق،
وعجز المستشفيات
عن استيعاب المصابين.

(تبدأ أصوات الجمهور تتصاعد بين بكاء السيدة هاشيا وهتاف الشباب)

صوت ١:
تشجعى هيساو هاشيا..

صوت ٢:
الموت للقتلة!

صوت ٣:
القاتل بيننا الآن .. القاتل بيننا الآن .. السفير .... آه

(صمت .. بعد تأوه .. ويبدو أن الهاتف قد أسكت بالقوة)

هيساو هاشيا:

كانت عينا جَدِّى تتابعُ الصورَ المؤلمة؛
رجل منصهر فوق الدراجة
ربما كان عائدًا بالخبز للبيت والعيال،
كما كان يفعل طوال خمسين عاما ..
ومئات تشوهوا فى مياه النهر،
حسبوه سيطفئ الظمأ
فأطفأ الحياة فى العروق
لأنه كان يغلي.

فى كل ركن من هيروشيما
كانت صورة اختلاط الماء بالدماء،
وجثث الرجال الموتى بالنساء.
وأخذ الموتُ يمرحُ كحصان فقد عينيه،
فأخذ يخبط كل من فى طريقه من الأحياء.

ربما هرب الآلاف
ونجا المئات
لكن جبال الألم البركانية
ظلت تنزف بالمطر الساقط من سحب الذكرى
أنهارًا نشرب منها كل يوم ...

(المحافظ يتحدث لمقدم الحفل):

المحافظ:

بدأ الجو يعج بالمتذمرين،
أخشى لو أكملت السيدة هيساو هاشيا هذا التأبين
أن يصحو الألم النائم منذ سنين
ونحن ننقل ذلك كله على الهواء
لكن مصيرنا سيكون إلى التراب!

(مقدم الحفل يدخل مصفقا، مقاطعًا ويستدعى تصفيق الجمهور، وهو يقول):

مقدم الحفل:

هائل أيتها السيدة هيساو هاشيا، أحسنتِ، وأجدتِ، وأعدتِ لشجرة الألم فى قلوبنا الحياة، ونحن نشكرك على قراءة أوراق جدك الطبيب، الذى ساهم فى إنقاذ الآلاف.

السيد المحافظ سيقدم لك درع "هيروشيما المحطة"، تحية من أبناء

القرية لصمود جدك، وجهده..

(يتقدم المحافظ وتتقدم صبية حاملة الدرع ، يأخذ المحافظ الدرع من الصبية ليسلمه إلى السيدة هيساو هاشيا وسط التصفيق وصعود بعض المصورين، وحين يرجع كل منهما إلى مكانه يستمر مقدم الحفل فى تقديم برنامجه)

مقدم الحفل:

كما يشرفنا أن يتقدم حضرة العمدة ليهدى إلى السيد فوميكو هايديكو أحد أبناء هيروشيما، الذين نجوا من القنبلة الذرية درع قرية "هيروشيما المحطة" ...

(يتقدم العمدة وتتقدم صبية حاملة الدرع ، يأخذ العمدة الدرع من الصبية ليسلمه إلى السيد فوميكو هايديكو - العجوز الذى تخطى الثمانين - وسط التصفيق وصعود بعض المصورين، وحين يرجع كل منهما إلى مكانه - والعمدة يسند السيد فوميكو هايديكو - يستمر مقدم الحفل فى تقديم برنامجه..

مقدم الحفل:

ونود أن نشكر سعادة سفير اليابان السيد كوجى نايتو على إهداء معرض صور تاريخ هيروشيما إلى متحف القرية،

وأن نشكره على دعم حكومة اليابان لمدارس قريتنا.

(تصفيق من الجمهور، ينهض السفير اليابانى فى مكانه وينحنى للجمهور ضاما يديه)

مقدم الحفل:

والآن يقدم شاعر القرية قصيدته "هيروشيما ٦٠".

يتقدم شاب من وسط الجمهور، حاملا قصيدته، وسط أصوات مشجعة .. " أسمعنا .. أسمعنا " حتى يصل إلى المنصة، فنرى فيه نفس الشباب رقم ١ فى المشهد الأول. مثلما حدث مع يوميات السيدة هوشيا نرى المشاهد المصورة على الشاشة إلى اليسار ولا يبقى بقعة .

من ضـوء إلا على الشـاعـر والشـاشـة الفضية.

الشاعر/ الشاب ١:

شَجَرَةُ النَّار التِي
مَاتَتْ الحَياةُ فى ظلهَا
قبلَ ستينَ سنةٍ
لا يزالُ دخَّانُها يزكُمُ الأنوف،
لا تزالُ الريحُ تنثرُ فى الهواءِ بذورَهَا
لا تزال صناديق تفاحها الأسودِ
تنبتُ فوق موائدِنا.

تنقرِضُ الحدائقُ الجوراسية،
تنقرضُ الحدائقُ المعلقة،
ينقرضُ الأملُ،
وحدَها تبقى أشْجَارُ النار حيَّة
تلقِى بها تنانين عملاقة
يُمْسِكُ مِقوَدَهَا
أقزامٌ يلوِّحُون بعلاماتِ النَّصْر
من خلفِ الدُّخان،
من فوق الجُثَثِ.

(تصفيق .. وصراخ : يسقط القتلة!!)

الشاعر مستكملا:

البذورُ التى خَصَّبتِ الأرضَ فخضبت القلوب بالدِّمَاءِ،
"هى الأصل"،
سنظل نغرسُها
حين نكتفى بالمرطبات
أمام علب الموتِ المصورة،
كى نمرر جثث الأصدقاء عبر غصة حلوقنا.
أو حين يكفينا الحديث عن محاسن الراحلين
نحن الآمنين فى التوابيت المكيفة.

(يتحرك الشاعر وهو يتوجه ببصره إلى السفير الأمريكي. تتباطأ حركته ليتوقف تماما أمامه. يبدأ الشباب يزحف من جنبات المسرح ومن بين الجمهور).

صوت ١:

هذا هو القاتل
بليد الحس..

صوت ٢:

قاد أسلافه المذابح فى هيروشيما وفييتنام..

صوت ٣:
ويقود أخوانه وأصدقاؤه اليوم المذابح
فى العراق وفلسطين وأفغانستان.

صوت ٤:
عليه أن ينسحب

صوت ٥:
أو يعتذر!!

(يحدث هرج ومرج . يتقدم مجموعة من الشباب لينتزعوا السفير الأمريكى من مكانه، ويجرونه إلى يسار المسرح أمام الشاشة السينوغرافية، ثم يأتون بما يشبه السور ليصنعوا قفصا يحبسونه به).

الشاعر/ الشاب ١:
توقفوا .. توقفوا
إنه ضيفنا..

المحافظ:
ماذا تفعلون أيها المجانين!

أصوات غاضبة:

الاعتذار .. الاعتذار
الاعتذار أو النار!!

الشاعر (وهو يعود إلى المنصة):

وماذا ينفع الاعتذار؟
جاء بيل كلينتون
إلى ميناء جوريه فى السنغال،
ليعتذر عن قرون من تجارة العبيد،
الذين كانوا يُخطفون من قارتنا السمراء
ليبنوا أمريكا.

فهل أعاد الاعتذار ملايين العبيد؟

هل يكفى أن تقتلنى اليوم،
لتعتذر لأحفادى غدا،
لو بقى لدى أحفاد؟

المحافظ للشاعر:
هل تهدئهم أم أنك تستثير الغضب فيهم؟
أحد الشباب الثائرين (مشيرًا إلى

السفير الأمريكي):

هو من أشعل النار بقدومه إلى هنا.
نحن أردنا التعبير
عن مشاعر التآخي التي بدأها ابنٌ من هذي القرية
مع مدينة مطحونة
فلماذا هلَّ علينا بطلعته
كي يحشرَ أنفَه،
أم كي يفرضَ رأيه؟

الموظف الكبير مهرولا نحو المحافظ:
مكالمةٌ من الرِّئاسَة!

المحافظ:
رحنا في الدَّبَّاسَة !!

(ستار)

المشهد الثالث

(داخل مكتب المحافظ. الوقت ليلا. آلات تصوير موزعة في كل مكان، تتحول الشاشة إلى اليسار إلى تليفزيون عملاق. تتغير عليه الشاشات. مرة شاشة السي إن إن. مرة الشاشة الحكومية. .. إلى آخره.)

المذيع يتحدث إلى المحافظ:
كيف ستنجح يا سعادة المحافظ في حل هذه المشكلة الدولية؟

المحافظ:
نحن نحاول، نحن نحاول، وقريبا سنفك سراح السيد جون رايد.

المذيع:
نعلم أن السيد رايد مأسورٌ في برج حمام. ماذا يعني ذلك في رأي سعادتكم؟

المحافظ:
هذا يعني أن المختطفين دعاة سلام، لو كانوا ينوون القتل لحبسوه في المسلخ البلدي! فالحمام رمز السلام، وقريبا بتفاوضنا معهم سيفكون سراح السيد رايد..

(صمت يتحول الجميع لمتابعة شاشة الأخبار في السي إن إن)

المذيع فى السى إن إن:

الرئيس الأمريكى يعزز قطع الأسطول الحادى والعشرين قرب موانئ مصر على ساحل المتوسط، وهيروشيما المحطة تصبح فى مرمى صواريخه. الرئيس الأمريكى يقول فى رسالة إلى الدول الأعضاء في الجامعة العربية: من ليس معى فهو ضدي. البنتاجون يحضِّر لقنبلة نووية لضرب "هيروشيما المحطة"!

المحافظ:

من يُخبر سيدَ أمريكا أنى سأحل الأمر أن الأزمة سوف تحل قريبا جدا ..

المذيع فى السى إن إن يستكمل:

.. الرئيس الأمريكى يقول أن حل الأزمة لا يعنى أن الأمور حُلت، والبنتاجون يجهز لاستخدام القنبلة النووية الذكية التى ستضرب الأعداء فقط داخل كل أبراج الحمام فى المنطقة

المحافظ:

أعصابي! أعصابي! هاتوا محطة الحكومة!

المذيع فى المحطة الحكومية:

بيان من رئاسة الوزراء يطمئن الشعب المصرى بأن لدى الرئيس الأمريكى فكرة شاملة عن أن سعادة السفير الأمريكى فى مهمة خاصة لصيد الحمام من داخل أبراج قرية "هيروشيما المحطة" لأن نظره ضعيف. وقد انقطع معه الاتصال لنفاد شحن بطارية هاتفه النقال.

يدخل الموظف متحدثا إلى المحافظ:

سعادة المحافظ، هل نبدأ الاجتماع الآن، جاء السيد المأمور، والعمدة، ومندوب الرئاسة..

المحافظ:

وماذا تنتظر؟

(يدخل المأمور والعمدة ورئيس التشريفات ومندوب الرئاسة ويجلسون إلى طاولة فى المنتصف، يخرج الإعلاميون)

مندوب الرئاسة:

جئت لأبلغكم رسالة موجزة:
هذا وضع قلق جدا، وتصرفكم فيه، لا يرقى للمسئولية أبدًا!!

المحافظ:

يا سعادة المندوب، نحن نبذل قصارى الجهود.

المأمور:

يمكن أن نتصرف بطريقتنا!

مندوب الرئاسة:

السيد الرئيس لا يريد حمام دم!

العمدة:

أنا أقول ننتظر، والصباح رباح!
ربما ينام الشباب،
أو يهرب السفير منهم عبر الباب

مندوب الرئاسة:

وهل نترك الأمور للصدف؟
(يفتح ورقة مطوية من سترته ويفردها على الطاولة)
لدى خطة من أصدقائنا باقتحام المكان؟

المأمور:

هذا اعتراف منا بالعجز والتقصير!
وهل سيفعلون أكثر مما نستطيع من تدبير؟

العمدة:

ومن يثق فى الأمريكان!
فلعلهم إن أعجبهم الجو، عينوا عمدة من عندهم!

مندوب الرئاسة:

إذن علام اتفقتم؟ نريد رأيا حاسما يا سعادة المحافظ!!

المحافظ:

لنترك الوقت الكافى للحوار. لننتظر حتى مطلع النهار!

الموظف مقاطعا الاجتماع:

سعادة المحافظ، هناك وفدٌ من برج الحمام، أقصد وفد عن الخاطفين، يريدون التحدث على الهواء عبر الشاشات العالمية، حتى يفرجوا عن السفير المأسور.

(يدخل مجموعة من الشبان والشابات ليقدموا عرض الغضب والاحتجاج)

عرض الغضب والاحتجاج

من أجل البلد الحر
من أجل بلادي
من أجل شعوب العالم
للأهل بنهرى والوادي
سنحارب أعداء الدنيا
وسنرفض وجه القسوة
وستصمد هيروشيما وتغني
وتكون محطة ميلادي

(ستار)

المشهد الرابع

(داخل غرفة العمليات فى البيت الأبيض. الوقت لا يزال صباحا (مع اختلاف التوقيت). العلم الأمريكى مرفوع بحيث تتحول خطوطه الحمراء إلى خطوط سائلة تقطر بالدماء على الجدران. الرئيس الأمريكى يجتمع مع كبار قواده: وزراء ومستشارون. رجال وسيدات. بيض وملونون).

(تدخل مجموعة فتيات يلبسن التنورات القصيرة، ويرتدين العلم الأمريكي. ويلوحن بالورود والمناديل الحمراء والزرقاء البيضاء. يبدأن رقصة بعنوان: البيت الأبيض، ويحييتهن القادة الأمريكيون. ويشاركهن الرقصة).

رقصة وأغنية البيت الأبيض

كورس الفتيات:
اغسل أسنانك بالأبيض
وتمتع فى البيت الأبيض
فالدم سيصبح كالأبيض
لونا فى الدنيا يتريض!

كورس المسئولين:
نحن رعاة البقر

سنبيدُ أعداء البقر،
نحن رعاة البشر
سنبيد أعداء البشر،
من مثلنا؟
فى عزنا؟

سنبيدُ أعداء البقر،
ونبيد أعداء البشر،
لو كان شمسا أو قمر!

(بعد انتهاء الرقصة والأغنية، تنصرف الفتيات، ويتجه الجميع لمقاعدهم حول طاولة الاجتماعات، حيث الخرائط، والكؤوس، وأطباق مختلفة، وعلب مشروبات)

الرئيس الأمريكي:
ماذا نفعل هنا؟
جيشنا الذى أذل ترسانات العالم،
يعجز أمام قرية بحجم شقتى فى شيكاغو!!

وزير الدفاع:
الدخول للقرية عبر الجو مغامرة،
والوصول إلى شواطئ مصر
وعبور أرضها مقامرة.
سبعون مليون شخص كل منهم عمره سبعة آلاف سنة!

(ثم يتوجه بكلامه لمدير المخابرات)

العيب عندكم
لم تعرفوا حجم المؤامرة!

مدير المخابرات:
لقد أوصينا بتهدئة الموقف، لكن سعادة السفير، لم يتوقف.
وعليه الآن أن يتصرَّف!

الرئيس الأمريكى (وهو ينظر إلى الهاتف):

مرة أخرى الخط الأحمر..

مدير المخابرات:
لا بد أن مدينة أخرى أصبح اسمها هيروشيما!
مرة هيروشيما ستان،
ومرة هيروشيما تتش،

مرة هيروشيمانوف،
ومرة هيروشيمانيان.

وبفضل وسائل إعلام الألفية الثالثة
لدينا حتى الآن عشرون مدينة أخرى
فى قارات الدنيا
تحمل اسم هيروشيما المحطة!

وزير الخارجية
لا حل سوى الاعتذار
ويا دار ما دخلك شر!

يمكننا أن نوجه رسالة..

الرئيس الأمريكي:
أية رسالة؟ وأى خطاب؟
فأنا أؤيد توجيه أعنف جواب!

وزير الخارجية:
لم يعد الأمر بأيدينا الآن،
لقد بدأت قصة القنبلة الذرية برسالة
إلى الرئيس روزفلت سنة ١٩٣٩ من
أينشتين، قال له، قنبلة ذرية تكفي،
لتدمير مدينة،
إنها سلاح الجحيم الذى يربط
التكنولوجيا بالحرب.

إنهم يلوموننا لأننا عرضنا الطائرة
التى ألقت القنبلة فى معرض عالمي
وكأننا نتفاخر بسلاح الجريمة!

واليوم علينا أن نوجه رسالة معاكسة،
بأننا كففنا عن استخدام القنبلة الذرية
منذ ذلك الحين، وأننا دعاة سلام، وأن
ننسحب بهدوء، حتى لا يضار مواطن
أمريكي!

الرئيس الأمريكي:
والبنتاجون،
والقنبلة النووية الذكية
التى تقتل الأعداء فقط، داخل أبراج
الحمام!

مدير المخابرات:

لا تكن مثل جحا يا سيدى الرئيس.
هذه كذبتنا عليهم، فهل سنصدقها
نحن؟

الرئيس الأمريكي:

مدير المخابرات:

يا إلهى ....

الجميع بصوت واحد:

ماذا؟؟

مدير المخابرات:

المعــارضــة الأمــريكيــة أطلقت على

نيويورك سيتي

هيروشيما سيتي!

(ستار)

المشهد الخامس

(الوقت عند الفجر. المسرح مقسم إلى جـزءين، داخل وخــارج برج الحـمــام. خـارج البـرج فى سـاحـة القـرية، إلى اليمين، لافتـات احتجـاج وأعلام مصر واليابان وأعلام دول عربية كثيرة. صوت موسيقى وطنية يبدو أن أهل القرية قد تجمعوا كلهم: متاريس أمام برج الحمام الذى يضم بالداخل المختطفين والسفير المأسور).

(آلات التـصـوير مـوزعـة فى المكان. يدخل المحافظ والعمدة وموظفون كبار وحراس بالبزات الرسمية. جموع كثيرة لشـباب أمـام البـرج، يخـتلط الجـمـهور بالحضور، وتتصاعد أصوات):

صوت ١:

يقولون بأن أينشتين

كان يبشر بالقنبلة الذرية؟

صوت ٢:

كيف ينام المخترعون

ملء جفونهم

والجثث تطاردهم فى الأحلام

صوت ٣:

سيغنى الرهبان تعاويذ

وينشد القساوسة الأسفار

ويرتل الشيوخ آيات الله

كى تضيء مخادعنا فى الليل

فتهدأ النار التى تتصاعد

من أجساد الضحايا

صوت ٤:

كالعنقاء نهضتِ
يا مدينة السلام
شاهدة على مأساة البشر
ووحشيتهم

صوت ٥:

نحن الأحفاد
نحن الجيل الثالث للقنبلة الذرية
نحمل فى الجسد شهوة الأمل
ألا نورث الحقد
ألا يرى أحفادنا
ما رآه الآباء والأمهات
سنعلم أطفال الدنيا
أن الحرب الكارثة العظمى
ألا نأخذ حقا لسوانا
أو نترك حقا لنا!

تدخل السيدة هيساو هاشيا:

على شاهد القبور فى المدينة
فى حديقة الذكرى كتبنا
"لترقد الأرواح هنا فى سلام
لأننا لن نكرر خطايانا
لسنا بحاجة إلى فلاسفة
يفسرون لنا معنى السلام
لسنا بحاجة إلى خطباء
يمتدحون السلام
لا يعوزنا إلا أن
نعيش فى سلام" ...

(اللافتات يلوح بها الشباب: لقد خلقتنا أمهاتنا أحرارا ولن نورث أو نستعبد بعد اليوم. مصر هى أمي. تحيا الأمة العربية. لا للحرب من أجل ضمير الإنسانية)

المحافظ (للموظف):

هذه أطول ليالى حياتي!

الموظف:

أى ليلة، الفجر سيؤذن يا سعادة المحافظ!

(هدوء. تخفت الأصوات . يعلو صوت الأذان. بعدها ينتقل المشهد لداخل برج الحمام. نتعرف فيهم على الشابين والفتاتين فى المشهد الأول، ومنهم الشاب ١/ الشاعر. لا تبدو أسلحة . والحمام يطير فى المكان. والكرسى

الوحيد مخصص للسفير الأمريكي.
طاولة أمامه، عليها صنوف من الطعام، وجريدة، وإلى اليسار شاشة تليفزيون ضخمة ....)

الفتاة:

تليفزيون، وعشاء ساخن، وجريدة،
وماء معقم،
هل يظن نفسه فى فندق خمس نجوم؟

الشاعر / الشاب الأول:

لقد أخطأتم بخطف السفير،
فقد كان ضيفا، وله حقوق لا تمس!
ولذلك علينا أن نكرمه
حتى لا يقال أننا
نهمل حق الأسرى!

الشاب الثاني:

من سيقول؟
وأين كانت ألسنتهم حين وصلتهم
صور الولايات المتحدة مع أسراها؟
يا صديقى لا يصنع الشعر السلام،
بل القوة!

الشاعر:

إذا أخطأوا
فهذا لا يعنى أنهم على حق!
ولا يعطينا خطأهم فرصة تكرار الخطأ!

الفتاة ٢:

وهل كانوا على حق
حين دمروا المدينة العزلاء؟
(ثم تنظر للسفير)
وحين جاء السيد جون رايد دون دعوة!

السفير الأمريكي:

أنتم مخطئون، مخطئون،
فأنا لستُ المجرم،
كانت حربا،
وفى الحرب يمكن أن يكون كل شيء مباحا!
عليكم أن تقرأوا التاريخ..

الفتاة ٢:

نحن لدينا تاريخ قبل أن تتكون فى رحم الدنيا أمريكا!

السفير الأمريكي:

يعجبنى حماس الشباب ولكن

لا بد أن يلف الحماس ثوب العقل.
لقد خطفتُ،
فماذا استفدتم؟
وماذا استفاد شعبكم؟
وماذا استفادت قضيتكم.

الشاب الثاني:
وماذا كنت تقترح يا رامبو العصر والأوان؟

السفير الأمريكي:
أنا جئت إلى القرية دون خوف
لأنى أعرف أنكم أهل كرم.
وواجبى يحتم أن أعرف ماذا يحدث.
كنت أخشى أن تقوم مظاهرات ضد بلادي،
وأكون آخر من يعلم!

الفتاة ١:
أنا رأيى أن نعيد محاكمة الولايات المتحدة،
أمام العالم.
فإذا كانت الولايات المتحدة على خطأ،
اعتذرت بدلا عنها.
ماذا قلت؟

السفير الأمريكي:
لكن هذه وإن كانت جريمة
فقد سقطت بالتقادم!

الشاب ٢:
لا يموت حق وراءه مطالب.

الفتاة ١:
سأدعو مندوبى التليفزيون.

الشاب ٢:
وأنا سأفاوضه

الشاعر:
وأنا معك.
علينا أن نعمل صوت الحكمة والقوة معا.

(تدخل الوفود الإعلامية، ويجلس الجميع إلى طاولة واحدة، يمدها الإعلاميون، مع مقاعد، ولوحات تعريف، السفير بجانب الفتاة، وإلى يمين الطاولة ويسارها الشاب الثائر، والشاعر)

(يبدأ الجدل، والهمهمات ثم يصمت الجميع ليعلو صوت أغنية وطنية)

من أول سطر للآخر
سنمد حروفا وكلاما

ونغنى للشعب الثائر
كى نُبرىء فينا الآلام

سنغنى حينا لكنَّا
فى كل الأحيان سنبني

لا يصنعُ غدنا ماضينا
بل تصنعه أيادينا
بالقوة نمضى أحيانا
وسنمضى بالحكمة حينا

السفير الأمريكي:

إنى أعتذر. وورائى أمريكا تعتذر.
لست أعتذر لتطلقوا سراحي. فأنا هنا فى راحة بال أكثر من الخارج.
وأنا أؤدى وظيفتي.
وسأعترف أنكم أكرمتمونى طبقا لتقاليدكم وكرمكم.
ولكننى أعتذر عن الماضي.
وأدعو كل مواطن أمريكى ألا يقع أسيرا لأوهام الإعلام فى الوطن.
أيها الرئيس الأمريكى لقد صدمتنى حين حشدت قوات الأسطول على سواحل البلاد التى أمثل فيها بلادي، دون أن تسألنى عما حدث.
دون أن تستشير أحداً. ولذلك فإننى أستقيل احتجاجا.

(ترتفع صيحات التهليل من خارج البرج)

أصوات:

السفير اعتذر. السفير استقال. شهد شاهد من أهلها.

(السفير الأمريكى، تتوجه إليه الميكروفونات.)

السفير الأمريكى:

إنى أعتذر. إنى أستقيل. وأدعو الشعب الأمريكى لكى يتفهم شعوب العالم بعيدا عن تضليل البيت الأبيض. أنا هنا مررت

بتجربة ورحلة. اتبعت عنجهية التدخل. لكنهم قابلوني باحتجاج الكريم. هذا حقهم هذه أرضهم. وهذا رأيهم. إنني أعتذر يا هيروشيما البلد. إنني أعتذر يا هيروشيما ستان. أعتذر يا هيروشيما سيتي. يا هيروشيما المحطة. وكل قارئ للتاريخ يجب أن يعتذر عن ماضيه الأسود. حتى يستطيع أن يبدأ صفحة جديدة بيضاء.

مذيع السى إن إن على شاشة التليفزيون داخل برج الحمام:

مظاهرات تجتاح العالم فرحا بانسحاب أسطول الولايات المتحدة الأمريكية، واستقالة السفير الأمريكى احتجاجا على ممارسات بلاده. الرئيس الأمريكى يقول: من ليس معنا فهو حر أن يكون مع غيرنا!

المحافظ (متحدثا للموظف):

أريد أن يكتبوا عن الجهود المضنية التى بذلتها لفك قيد الأسير!

الموظف:

لا تقلق .. لا تقلق، ولكن ادعُ أولا، أن نظل فى مناصبنا حتى منتصف النهار!

على الأنغام تنطلق فرقة الراقصين والراقصات بالأزياء الشعبية المصرية، التى قدمت التابلوه الغنائى فى المشهد الأول لتستعيده:

من قلبنا هنا
فى هيروشيما المحطة
لاخوتنا هناك
فى هيروشيما البلد.
نغنى ،
والحروف تداوى الجروح
ونرقص ،
وأسماء الضحايا فى قلب الروح
فى القلب وفى النن

(ستار) ختام

موقع اللغة فى الفلسفة العربية

د. حسين مروة

فى العدد الماضى قدم حسين مروة مخططا أوليا لدراسة التراث فى تاريخيته وكليته دراسة علمية فى ضوء المنهج المادى التاريخى واعتبار الفلسفة كشكل أعلى من الوعى والتفاعل بين الأصل والوافد نتاج عملية تاريخية داخل حركة تطور الفكر العربى يجرى فيها بصورة دائبة جدل العام والخاص وظهور الفيلسوف العظيم الذى يأتى فى لحظة تاريخية مواتية كقفزة كيفية فى طريق تطور الفكر الفلسفى الذى لا تخرج أى فلسفة إنسانية بتطورها الخاص عن تاريخ تطور الفكر الفلسفى عامة.

«أدب ونقد»

هذا التراث الفلسفى الذى نضع الخطة هنا لدراسته: ما هويته؟.

إن له «خصوصية» تاريخية دون جدال، وإن اختلف الرأى - كما سبق - فى أبعاد هذه «الخصوصية»: هل هى مغلقة إلى حد الانقطاع عن المجرى العام لتاريخ الفلسفة، أم هى تقع من تاريخ الفلسفة موقع الخاص من العام، تتفرع

فى إطاره وتحمل من خصائصه المشتركة ما تحمله كل فلسفة فى كل مكان وزمان؟. ولكن، إلى من تنتسب هذه «الخصوصية»، أو إلى ماذا تنتسب واقعيا، تاريخيا، موضوعيا: أهى نتاج عربى فتسمى «فلسفة عربية»، أم نتاج إسلامى من كل قوم فتسمى «فلسفة إسلامية»؟. ثم، ما معنى كونها نتاجا عربيا أو إسلاميا: هل معناه أن منتجيها عرب دما ونسبا خالصا، أو أن المسلمين من كل قوم قد شاركوا فى إنتاجها، أم أن المسألة تتجاوز هذا المعنى من الانتماء البشرى القومي، إلى معنى الانتماء الفكرى - اللغوى أى أن الذى يحدد انتماء هذه الفلسفة هو مضمونها نفسه والأداة التعبيرية لهذا المضمون؟.

هذه المسألة، بوضعها العام، مطروحة للبحث والجدل منذ أخذت الدراسات الحديثة طريقها إلى معالجة هذا التراث. أما عند المتقدمين من المؤلفين العرب، فيبدو أن المسألة لم تكن مطروحة إطلاقاً، لأننا لا نجد من مؤلفاتهم وصفا معينا لفلسفة التراث ذاتها. وهذا يشير إلى أنهم لم يكونوا يرون حاجزا بينها وبين تاريخ الفلسفة العام حتى عصرهم. ويبدو أن هذه النظرية بقيت هى المسيطرة حتى عهد ابن خلدون. فقد عبر عنها ببراعة من قوله عن العلوم العقلية بأنها «طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر، فهى غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون من مداركها ومباحثها، وهى موجودة فى النوع الإنسانى منذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة»(١) كل ما نجد عند المتقدمين بعض التسميات لفلاسفة التراث، مثل تسميتهم بـ«فلاسفة الإسلام»(٢) والغزالى يسميهم «المتفلسفة فى الإسلام»(٣). أما ابن خلدون فيسميهم «النظار من أهل الإسلام»(٤). ولكن هذه التسميات لا تدل على انتماء فلسفتهم، بل لا تدل إلا على انتماء أشخاصهم إلى المجتمع الذى تكون تحت راية الإسلام، وليس فيها دلالة على كون هذه الفلسفة تمثل العقيدة الإسلامية. ولولا ذلك لما كان مصطفى عبد الرازق فهم من عبارة «فلاسفة الإسلام» أن هؤلاء المشتغلين بالفلسفة فى ظل الإسلام، من مسلمين وغير مسلمين يسمون «فلاسفة الإسلام» ولما اضطر للاعتراف بأن فلسفتهم تسمى فلسفة إسلامية «بالمعنى الاصطلاحى (٥) أى لا بالمعنى الديني، مع أنه كان حريصا على استخدام هذه العبارة لدعم تسميتها «فلسفة إسلامية» بالمعنى

الأخير. وهكذا شأن تسمية المؤرخين المتقدمين للفيلسوف الكندى بـ «فيلسوف العرب» حينا وبـ «فيلسوف الإسلام» حينا آخر، دون أن يقصدوا أن الكندى أنشأ «فلسفة عربية» أو «فلسفة إسلامية» بمعنى الانتماء «الجنسي» أو الديني، بل كل ما قصدوه هو ما عبر عنه القاضى صاعد فى قوله إنه «لم يكن فى الإسلام (يقصد فى البلدان الإسلامية) من اشتهر بعلوم الفلسفة فسموه فيلسوفا غير يعقوب «الكندي»(٦). إذن، ليس فى مؤلفات المتقدمين ما يحدد «هوية» فلسفة التراث. أما المستشرقون والمحدثون العرب فقد أثاروا فى هذه المسألة جدلا لم ينحسم عندهم بعد غير أن الجدل بينهم ينحصر فى جانب واحد من المسألة، هو «جنسية» هذه الفلسفة - إذا صح التعبير - أى تحديد انتمائها أما «للجنس» العربي: أو إلى أكثر من «جنس» بشرى فى دولة الخلافة، ولم يفكروا فى تحديد هذا الانتماء على أساس مضمونها الفكرى وعلاقة هذا المضمون بالواقع الاجتماعي. فهم يذهبون فى هذه المسألة مذهبين كلاهما وحيد الجانب: مذهب يقول إنها «فلسفة عربية» لإنها مكتوبة باللغة العربية، وآخر يقول إنها «فلسفة إسلامية» لأن أغلب ممثليها ليسوا من أصل عربى(٧).

فالمسألة لدى كل المذهبين تقف عند ظاهرة واحدة من الظاهرتين وتبقى الثانية مهملة كأنها غير موجودة، أو كأنها ليست ذات شأن ثم إن المسألة تبدو فى هذا الخلاف، أنها مسألة شكلية من حيث اللغة، وسطحية من حيث الانتماء إلى هذا الأصل، أو ذاك من أصول البشر. إنها أبعد من ذلك وأعمق. فليست كتابة هذه الفلسفة باللغة العربية - بمظرها الشكلى وصورها المعجمية - هى المسألة، وليست هى أيضا أن يكون أغلب ممثلى هذه الفلسفة من أصل غير عربى أو يكونوا من أصل عربي، بالمعنى السطحى البسيط لهذا النوع من الانتماء القومى بل ينبغى النظر إلى الأمر الجوهرى الذى يكمن - أولا - فى أن فلسفة التراث مكتوبة باللغة العربية دون غيرها، ويكمن - ثانيا - فى أن الذين يمثلون هذه الفلسفة ينتمون إلى أكثر من لغة واحدة لأكثر من شعب واحد من الشعوب التى انتظمتها خلال القرون الوسطى دولة - أو دول - مشتركة، فارتبطت بالإسلام لا من حيث هو ومن فحسب ، بل من حيث تاريخيته أساسا، أى من حيث أصبح عنوانا لنظام اجتماعى تاريخي، فالموقف العلمى هنا يفترض الأخذ بكلتا

الظاهرتين من جهة أولى والبحث - من جهة ثانية - عن الجوهر الكامن لا فى كل ظاهرة منهما على انفراد، بل فيهما مجتمعتين فى وحدة. فما هو هذا الجوهر الكامن فى وحدة الظاهرتين؟.

يجب النظر أولا فى موقع اللغة العربية من تراثنا الفكرى بمعناه الأشمل، وفى ضوئه يتحدد موقعها من التراث الفلسفي، بمعناه الخاص، إنها - كلغة- ليست سوى أداة تعبيرية عن الوعى الاجتماعى فى بيئة اجتماعية تاريخية معينة. فهى - بهذه الصفة - أداة اجتماعية. صحيح أن اللغة تتكون وتنمو وتتطور بقوانين آليتها الخاصة بها التى هى أكثر استقلالية من الفكر الذى تعبر هى عنه، ولكن ذلك لا يعنى أن قوانين هذه الآلية محتوى الداخلية الخاصة باللغة تعمل بمعزل عن قوانين حركة الفكر وقوانين حركة المجتمع اللتين هى أداة التعبير عنهما. إن الأمر على العكس. فهى تاريخية أى أنها لا تنشأ وتنمو وتتطور خارج تاريخ الوعى الاجتماعى المعين الذى هو أيضاً ينشأ وينمو ويتطور خارج تاريخ المجتمع المعين. هكذا شأن اللغة العربية بالتحديد: فبقدر ما كان الوعى الاجتماعى لدى المتكلمين بها يستوعب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والديمرغرافية منذ نشأة الإسلام حتي استقرار شكل النظام الاجتماعى - السياسى لدولة الخلافة، كانت هى - أى اللغة العربية - محكومة، بالضرورة، أن تستوعب - فى قاموسها وفى فيلولوجيتها - تلك التحولات بطريقتها الداخلية التى هى أيضا لها تاريخيتها إن النظر إليها من هذا الجانب يكشف أنها كانت تتحرك بكل طاقاتها الفيلولوجية والتعبيرية لتتفجر عن «معجمية» جديدة تضطلع بمهمة حمل الأفكار التى تنتجها بنية العلاقات الاجتماعية العربية - الإسلامية خلال العصر الوسيط. إن قوانين حركتها الوضعية (الاشتقاق، النحت، التعريب إلخ..) كانت تستجيب بطواعية لاحتواء كل أشكال الوعى الاجتماعى الملائم لتلك البنية. من هنا يحق القول إن «معجمية» اللغة العربية ونظامها الغراماطيقى الموروثين عن عصر الجاهلية، ليسا هما اللغة العربية التى تحمل لنا فكر التراث وفلسفة التراث: تلك لها بنيتها البسيطة الملتصقة بتاريخ المجتمع العربى القبلى البسيط. أما هذه فلها بنيتها المركبة على مثال تاريخ المجتمع العربى - الإسلامى المركب بأكثر من معنى للتركيب، أى بجملة متشابكة متفاعلة من

المركبات الاقتصادية - الاجتماعية، والسياسية والثقافية والديموغرافية. ونؤكد كلمة «الديموغرافية» هنا، لأن هذا المركب البشرى كان له دور تاريخى عظيم الأثر فى عملية تطور علاقات الإنتاج بخصائصها النمطية المتميزة تاريخيا، وفى عملية تشكيل الفكر - التراث المعبر عن البنية الاجتماعية لتلك العلاقات. أن المركب العربى - الإسلامى الذى يشير إلى تلك التجربة المتكاملة من تفاعل الطاقات البشرية لشعوب عدة من ممارسات النشاط الاجتماعى والنشاط المعرفي، قد أضفى على هذه الممارسات المشتركة لقوى الإنتاج المادى والروحى (الفكرى)، سمات جديدة تتميز بشكلها التاريخى فى حقل العلاقات الاجتماعية وفى حقل العمل الفكرى معا، كما تتميز - فى إطار هذا الشكل التاريخى - باللغة المشتركة التى استوعبت نتاج تلك التجربة بقدرة نكاد نقول خارقة . إن هذه اللغة المشتركة (الللغة العربية)، قد انصهرت فى بنيتها المعجمية والفيلوجية والغراماطيقية وفى بنيتها التعبيرية، مجموعة من العلاقات هى حصيلة تاريخ ذلك التفاعل الصاخب بتناقضاته الكثيرة التنوع، والكثيرة التعقد، ولكنه التفاعل الذى وجد الإطار لوحدة تلك التناقضات، على الصعيد الفكري، فى ممارسات الفكر الفلسفى بوجه خاص. ذلك بسبب من كون الفكر الفلسفى هو أكثر أشكال الوعى الاجتماعى مقاربة للنظر فى معضلات الكون والمجتمع والفكر من منطلقات ومواقف لا يمكن فيها الحياد إزاء ما يجرى فى العالم الخارجى من تناقض وصراع. إن ما نسميه الفكر العربى الإسلامى الفلسفى كان هو ذلك الإطار لوحدة التناقضات فى المجتمع العربى - الإسلامى مسجلا بهذه اللغة المشتركة ، بكل ما تحمله من حصيلة تاريخ التفاعلات التناقضية فى ذلك المجتمع. أن العلاقات الداخلية لهذا الفكر نشأت فى نطاق تصوراته لمفاهيم الإسلام الكونية والاجتماعية، وتطورت فى نطاق استيعاب هذا الفكر لحركة الصراع بين هذه المفاهيم نفسها بوضعها المجرد وبصورتها كمبادئ مطلقة وثابتة، وبين الممارسات العملية فى مجال العلاقات الاقتصادية - الاجتماعية المتحركة. وفى وسط هذا الصراع ذاته تحولت تلك المجموعة من العلاقات الداخلية للفكر العربى - الإسلامى إلى أشكال أيديولوجية، تعبيرا عن التمثيل الناضج لحركة الصراع هذه فى مستواها الفكري. ويمكن أن نحدد بدء

التجليات الأولى لهذا التحول بالظاهرة المسماة بـ «القدرية» والتفاعلات التى أحدثتها هذه الظاهرة فى الأوساط الفكرية والأوساط الاجتماعية المناهضة آنئذ لحكم الأمويين ولايديولوجيتهم القائمة على الجبرية. ثم أخذت هذه التجليات تتبلور مرحلة مرحلة: وجدت شكلها المتطور أولا فى فكر المعتزلة، ثم وجدت أشكالها العليا فى مجالين متوازيين: الفلسفة، والتصوف الفلسفي. وخلال ذلك برزت عند «إخوان الصفاء» بشكل آخر تتداخل فيه معالم الفلسفة ومعالم التصوف الفلسفى على غير انسجام واضح.

إن الاستنتاج الذى نريد أن نستخلصه من كل ذلك هو الآتى: لم تكن اللغة العربية أداة خارجية لحركة كل هذه العمليات الفكرية - الأيديولوجية، بل كانت عنصرا حركيا من عناصرها الداخلية. ذلك أن هذه اللغة، خلال تمرسها بالتعامل مع كل الظاهرات المادية.والروحية (الفكرية) لمسيرة العرب باسم الإسلام فى العالم الآسيوى والإفريقى حتى العالم الأوروبي، قد حملت فى بنيتها الجديدة المتطورة، أبعادا فكرية لكل تلك الظاهرات، بحيث أصبحت معلما حيا من معالم التاريخ المشترك لمختلف الشعوب التى اندمجت فى المسيرة - موضوعيا - وأسهمت فى صنع هذا التاريخ وفى صنع تراثه الفكري بما فيه من تراث فلسفي.

لسنا نجد ، حتى الآن، تحديدا وصفيا مكثفا لهذا التاريخ المشترك أدق من وصفه بالتاريخ العربى - الإسلامى . فليست كلمة «العربي» فيه تعنى من الانتماء بالدم والنسب الخالصين، لأن هذا النوع من الانتماء أصبح فى العالم شيئا خارج التاريخ، بل تعنى الخصائص التاريخية التى تنسب للأشكال الحضارية الناتجة عن مسيرة العرب تلك وتفاعلهم خلالها مع جملة من الشعوب شاركتهم صنع هذه الأشكال وصنع تاريخها الكامل. من هنا تكون كلمة «الإسلامى» فى وصف هذا التاريخ تعبيرا عن هذه المشاركة ذاتها، وإشارة إلى هذه الشعوب ذاتها، ولذا يتحدد محتوى الكلمة «الإسلامى» بدلالتها الحضارية، لا بدلالتها الدينية، من حيث إن صناعة هذا التاريخ المشترك هى نتاج بنية اجتماعية مركبة متكاملة ارتبط وضعها السياسي والحقوقي والتشريعي بنظام دولة الخلافة الإسلامية وبالأسس المادية الاقتصادية لهذا النظام. ولم يكن يعنى

هذا الارتباط قط أن الناس الذين يؤلفون مجتمع دولة الخلافة هم بالضرورة مسلمون من حيث المعتقد. فأنه من المعروف تاريخيا أنه كان فيهم من يدينون بمعتقدات أخرى كثيرة: مسيحية، ويهودية، وصابئية، ومزدكية وغيرها فالوصف بـ «الإسلامى» هنا لا يشير إلا إلى المدلول الاجتماعى - التاريخي.

إذا كان التحديد الوصفى الوحيد، حتى الآن لهذا التاريخ هو أنه عربى - إسلامى بالمعنى ذاك، فإن تراثه الفكرى بمختلف أشكاله، هو بالضرورة عربى - إسلامي. حتى لغة هذا التراث، وفقا لتحليلنا السابق، هى عربية - إسلامية. وهنا تكشف فلسفة التراث عن «هويتها» الواقعية - التاريخية.

فهى ليست عربية صرفا، وليست إسلامية دينية، وليست إسلامية تاريخية صرفا. هى فلسفة عربية - إسلامية بالمفهوم السابق الذى توصلنا إليه. ذلك ما التزمناه فى هذا الكتاب.

هوامش:

١ - ابن خلدون: المقدمة. طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٥٦، ص٨٦٠.
لشهر ستانى فى «الملل والنحل» جعل عنوان الفصل الرابع فى الجزء الثانى هكذا:
«متأخرون فى فلاسفة الإسلام». وابن سبعين «(٦١٣ - ٦٦٩هـ) وصف الفارابى بأنه «مهم فلاسفة الإسلام» «راجع: احصاء العلوم للفارابي، مقدمة عثمان أمين، ص ٣٨).
تعمل القفطى فى «أخبار الحكماء» عبارة «حكماء الإسلام» وهى العبارة التى جعلها بقى اسما لكتابه الذى طبع فى لاهود ١٩٥١ باسم «تتمة صوان الحكمة» (راجع لطفى عبد الرازق: التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص١٨).

٢ - الغزالي: «تهافت» الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٥٥، ص٦٣.

٣ - ابن خلدون: المقدمة، ص ٨٦٥.

٤ - مصطفى عبد الرازق: التمهيد..، ص١٩

٥ - القاضى صاعد الأندلسي: طبقات الأمم - المطبعة الكاثوليكية - بيروت



١٩١٢،ص ٥٢.

٦ – راجع: عبد الرازق: التمهيد..ص ١٨ – راجع عثمان: مقالة «أصالة الفلسفة الإسلامية ورسالتها» (أعمال المؤتمر الفلسفى العالمى الثانى عشر، المجلد١٠. ص١ –٨) – راجع أيضا جميل صليبا: «بحث فى الفلسفة الالهية عند ابن سينا (بالفرنسية)، ص٥٤ – ٥٥.

نص

القهوة والشيطان

مى عبد الصبور

ويظل شيطان ذكى جداً يتبع ، على أثر خطواتها المرتعدة ويهدد بموتها مقتولة. يعلن: أن الله القادر العظيم المنتقم الجبار المذل المعز سلطه عليها وفى يديه الكبيرتين القبيحتين له القدر. نبرة حاسمة يصيح بأنها ميتة ولا خروج من ذلك.

تجاهد لتسرع الخطى فيسارع هو بالقذف بالكلمات الحجرية والكلمات النارية والكلمات الكيادة الأليمة. تتذكر آية فى القرآن تطمئن العباد بأن كيد الشيطان كان ضعيفاً، فتوجه له سؤلاً لاهثاً: «افتكر أنت أنك شيطان. هل يمكن أن تكون الملاك عزرائيل يرتدى قناعاً فى الدنيا هذه لأنها تشرب القهوة كثيرا كثيراً ولذا يجب أن تموت، وكذلك التدخين يدمر قلبها ورئتيها. يجيبها بأن ربنا أذن له أن يرتكب جريمة سحر أسود فى جسدها وروحها بسبب تعاطيها لكل هذه المنبهات وأنه هو نفسه اسمه «ربنا بتاع الشيطان» تسترجع جملة فى مسرحية تقول بإن أحدهم «قتل الله وسرق بطاقته الشخصية».

يستمر الشيطان يهذى وهى أيضا أذ تسرع الخطى نحو المقهى لتجلس قليلاً فتحتسى قهوة وتدخن راجية أن تفكر قليلا بدونه ذلك المجنون الملعون وإن تستعيد نفسها من قبضته وأن كان ذلك سيتم بفعل الانتحار.

تكاد خطوتها المذعورة تختنق وتهوى إلى الجحيم فى شوارع محروقة من الشمس الكئيبة كآبة انتصار القوى المظلمة الغاشمة الجبارة على عقلها البسيط. يسترسل الشيطان فى هذيانه فيقول إنه «لا اله إلا الله، أنا الكون مغلوباً. الناس والأشجار والنيل والسماء أنا.

أنا رجل وأنت امرأة. أنت مسخ مثل الشيطان اخلعى ملابسك لأنى أريدك. بل أذهبى إلى الجامع وأعرفى الحقيقة، أنت لم تعرفين أية حقائق من الآن فصاعداً أن لم تصل.

تتمنى أن ترى مرة أخرى وأن كان لآخر مرة سماء مظلمة يبتسم فى أحضانها قمر نورانى وبعض نجمات تريد أن تتنفس هواءً. الجو شديد الحرارة ترى هل ستصاب بنوبة قلبية أو سكتة دماغية.

لعله نقص الأوكسجين فى جسدها ذلك المسكين المسحور هو الذى يسبب كل هذا الكابوس.

«نريد أن ننتهى» صوته كالرعد يعلن «أنا جئت ولن أمضى إلا وأنت ميتة».

الشوارع مزدحمة بكبار وأطفال وجميعهم يحملقون فى جسدها الذى تغير شكله وانتفخ الكبار وحتى الأطفال أيضا ينطقون بتحد عبارات مخلة للأدب ويشيرون اشارات لها دلالات جنسية جميعهم ينظرون إليها ويكلمونها ويسبونها ويخبطون فى جسدها المفترس. «يا الله ماذا يحدث لى» تكاد تبكى ولكن الدموع لا تسعفها. تتمنى أن يكلمها الله ولو مرة واحدة فقط فتعرف إنها مازالت نفسها وأن الشيطان الرجيم صنع كابوساً ضعيفاً سيزول الآن الآن الآن. سيزول الآن ويعود كل شىء إلى طبيعته.

«لن يخلصك الله إلا بالموت» يقرأ أفكارها فيصيح كالكلب المسعور «موتى تعيشين. تفكر بأنها حتما سوف تدخل المستشفى مرة أخرى فتتناول العقاقير والحقن المهدئة لأن الطبيب العلمانى يرى أن المشكلة محض ذهان مزمن لكن هى

باتت تكره أن تحجز فى مستشفي.

ولكنها تعود فتراجع نفسها بضمير ما زال حياً بأنها أن لم تدخل المستشفى فترتكب جريمة قتل وتخرج كل غضبها وتمردها على هذا الموت فى إنسان أو إنسانة ما كبيراً كان أو طفلاً «رحمتك يا الله، لماذا ينظرون إلى هكذا. من أين يأتى كل هذا العنف والفهم. أنهم يأكلوننى حية. المخلوقات جميعها تحولت إلى آكاى لحوم البشر.

أخيراً وصلت إلى المقهى فجلست على كرسى بلاستيك أخضر أمامه منضدة معدنية صغيرة أبصرت النادل وركن الشيشة والجالسين وحدهم وآخرين فى صحبة ، يضيعون الوقت فى كسل ولا مبالاة بالموت. الشحاذون والباعة المتجولون، وماسح الأحذية العجوز ذو القامة المحنية إلى الأرض، وأم أميرة طاهية ساندوتشات البطاطس المقلية. الفه المكان وتناسيه المتعمد للموت ورعبه بالغوص فى بحر أقدار تعيسة ولكن صادقوها بالتسليم التام إلى إرادة الله. الفقر والعمل والوحدة والأصحاب والبطالة والصحة المقبلة. والفة المكان لم يطمئنها.

راح الشيطان الرجيم يصيح بصوت غراب ويضحك ضحكة واسعة:

«أشربى قهوة وسجائر إلى الأبد. وأكتبى كتابتك المحمومة وأنا سأهبك المجد فى أبديتي. أنت . تسكنين فى أبدية الشيطان. ملعونة أنت إلى الأبد.. يا مي.

شعر

طراوة الماء

وجدان شكرى عياش

-١-

عطب ينصب أوتاد كارثته
قرب شجر مهدد بالعصف..
ويهب النهار طراوة الماء
في ليل شقي بنسله
يهرق نبيذ دهشته
ينعش محفوف بالنداوة
فلا حقول للفراغ ستزرعها
ولا قبلة علي شرفة الغياب
سنجنيها..

-٢-

خطب أنا..
أشتعل بماء اللوعة
حينما ريح القبلي تنثر غبارها
وأنت تحاول كبح سعالك
كي لا توقظ مخيلة الهائمين
في دروب سفك دم ضحاياهم
علي مرأى الكلمة التي تستعيد
فجورها في تأبين موت ينتهز
غيبوبة وعينا، وحسرة مصائر
حلمنا .. كلما عجزنا عن
ملاحقة
كأس تبدد احتفاء بمرثية
وجودنا



-٣-

أيها الكادح – الحارث أرضاً
لا تنبت غير القتلي..
أيها الباذخ في غيابك..
المتمرد كنبتة صبار
علي توله قدمين واجفتين
تجيدان مؤانسة ألق خفي
لظلينا
قدمان تلاحقان طيفاً
يغريه ارتباكي وجرأة اندفاعي
لنبض لغة تبعثر
قش اشتهائها علي صدر
ضوء
ثمل يعبر بهما ضفتا خوف
لمحراب خطيئة تقد ثوب
سرابها من قبل
قدمان من نهار يقايض
ندماً فاضحاً ببهجته
حينما اعترتنا رعشة مواويل
الريح.

عبير سلامة

كثيرون من الأدباء والمفكرين الكبار فى تاريخنا الثقافى لهم أعمال تحتاج إلى من يجمعها من الصحف أو من طبعات قديمة لم يعد لها وجود، وقد يندهش البعض عندما أقول - على سبيل المثال- إن كاتبا عظيما له تاريخ مثل إبراهيم عبد القادر المازنى له أعمال ماتزال مبعثرة فى الصحف والمجلات، وهى تزيد- فى حجمها- كثيرا على أعماله المنشورة فى كتب، ولو قام أحد الباحثين الجادين المخلصين بجمع هذه الأعمال المبعثرة لوجدنا أمامنا صورة أخرى أوضح وأعمق وأكثر تأثيراً وروعة للمازنى الذى عرفنا «بعضه» ولكننا لم نعرفه بصورته الكاملة، والسبب هو آثاره الغائبة التى تحتاج إلى من يبحث عنها ويسهر على جمعها وتقديمها للناس، وذلك حتى تكتمل المتعة والمنفعة بهذا الأديب الجميل النادر الفريد.

على أن هذا النوع من العمل الثقافى الذى يقوم على جمع ما تبعثر من أدباء ومفكرين لم يتمكنوا فى حياتهم من القيام بذلك، إنما هو عمل يحتاج إلى شخصية لها صفات خاصة، منها الوعى والثقافة والحماس والذوق الرفيع، ثم هناك فوق ذلك صفة «الفروسية» والإحساس العالى بالمسئولية، ففى هذا النوع من العمل جانب من جوانب إنكار الذات، ومن يستطيع أن ينكر ذاته فى العمل الثقافى فقد بلغ أعلى درجات السمو فى الثقافة والضمير والنفس النبيلة.

«عبير سلامة» هى واحدة من هذا الطراز النبيل من المثقفين الإنسانيين الذين يمتزج فى شخصيتهم جدية العلماء بشاعرية الشعراء، وبهذه الشخصية، وهذا التكوين الفكرى والروحى، قضت «عبير سلامة» سنوات وهى تجمع ما كتبه أخى وحيد النقاش «١٩٣٧ -١٩٧١» رحمه الله، وكان وحيد، بشهادة كل من عرفوه فأحبوه، موهوبا كأديب ومثقف، وكان موهوبا أيضا كإنسان صاحب قلب عامر بالصفاء والمحبة. وقد أثمر جهد «عبير سلامة» مجلدا كبيرا فى حوالى أربعمائة صفحة يضم الأعمال الأدبية التى قام وحيد بترجمتها خلال عمره القصير، وظهر هذا المجلد فى منشورات المجلس الأعلى للثقافة بغلاف رائع للفنان الشاب الموهوب أحمد اللباد. وقد جمعت «عبير سلامة» هذه الترجمات وعلقت عليها وقدمت لها بمقدمة هى غاية فى العذوبة والعمق والجمال. وكان جمع هذه الأعمال حلما غاليا حققته «عبير سلامة» بإخلاص وصبر ومحبة، والحقيقة أن عبير سلامة هى نفسها حلم من أحلامى التى تحققت، وهو الحلم بأن يكون عندنا عشرات من أمثالها ممن ينفضون الغبار عن وجه الثقافة فى هذا الوطن، لتصبح الثقافة من جديد قوة مؤثرة فى حياة الناس، بعد أن أصبحت هذه الثقافة ثروة مدفونة فى باطن الأرض، ليس لها أصحاب، ولا يبكى عليها أحد.

شكراً أيتها الموهوبة المثقفة صاحبة الذوق الرفيع عبير سلامة.

لقد وجدت فيك ، وأنا لا أعرفك شخصياً، ما يجدد آمالى فى أن جمهورية الموهوبين الطيبين الشجعان سوف ترفع رايتها وتعلن عن ميلادها فى يوم قريب.

رجاء النقاش



الأمل للطباعة والنشر رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢ «الثمن: ٣ جنيهات»